

الحوار في مشاهد يوم القيامة

في القرآن الكريم

الدكتورة : هالا سعيد محمد

الحوار في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم
الدكتورة : هالا سعيد محمد

الحِوار في مشاهد يوم القيامة

في القرآن الكريم

دراسة دلالية بيانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٨٧ / ١ / ٢٠١٥) مركز الايداع ٢٢٥,٢

ردمك ٧-٠٧-٥٩٤ - ٩٩٥٧- ٩٧٨ ISBN

الحوار في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم دراسة دلالية بيانية

الدكتورة : هالا سعيد محمد مقبل

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي - مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(M)

- هاتف: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩٢
- موبايل: ٠٠٩٦٢ ٧٩٥٧٤٧٤٦٠ موبايل: ٠٠٩٦٢ ٧٩٦٢٩٥٤٥٧
- هاتف السودان – الخرطوم ٠٠٢٤٩ ٩١٨٠٦٤٩٨٤
- ص.ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ العبدلي
- البريد الإلكتروني: dar_ jenan@yahoo.com

daraljenanbook@gmail.com

الحوار في مشاهد يوم القيامة

في القرآن الكريم

دراسة دلالية بيانية

الدكتورة

الدكتورة : هالا مقبل

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع :

إلى الروح الطاهرة التي غرست في نفسي حب العلم ورحلت إلى بارئها ، روح والدي رحمه الله .

إلى من يحيون في قلبي ، ويمدونني بالحب والحياة ، إخوتي وأخواتي حفظهم الله .

إلى رفيق دربي وشريك حياتي ، الذي كان لي خير معين في مسيرتي العلمية بما قدمه لي من دعم معنوي وتشجيع - الدكتور سامي البو - أثابه الله بفضله .

إلى فلذات قلبي وقرة عيني – حسن ، يزن ، زيد – جعلهم الله من عباده الصالحين .

إلى من لم يبخل علي يوماً بتوجيهاته وآرائه أستاذي – الدكتور عمر الأسعد – بارك الله في عمره وعلمه ، وجزاه عني خيراً .

تقديم

أسلوب الحوار أحد الأساليب المستخدمة في إثبات الحجة وإقامة الدليل . وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب ، فعرض لوحاتٍ حوارية عميقة التأثير ناصعة البيان ، ومن هذه الحواريات ما هو دنيوي يتعلق بشأن من شؤون الحياة ، وما هو أخروي يتصل بمشهد من مشاهد القيامة .

وقد لفتت هذه المشاهد نظر الباحثة الفاضلة الدكتورة هالا مقبل ، لتنعم فيها النظر ، وتتقصاها بأداء دقيق وفهم عميق . ومع تنوع هذه المشاهد وكثرتها ، اختارت المؤلفة مشاهد القيامة الحوارية موضوعا لهذا الكتاب . وقد وضعت هذه المشاهد في إطارها ، فقدمت لها بمقدمتين :

- بالتعريف بأسلوب الحوار في القرآن ولوازمه من الألفاظ والعبارات ، وآدابه وشروطه وأركانه التي يقوم بها ، وموضوعاته ، وأطرافه المشاركين فيه .

- بأنواع من الحوار الدنيوي ، تمثل في نطاق النبوة بحوار الرسل مع أقوامهم ، وحوار إبراهيم مع قومه (الأنبياء) ، وحواره مع النمرود (البقرة) ، وخارج نطاق النبوة بحوار ابني آدم (المائدة) ، وحوار ذي القرنين حول يأجوج ومأجوج (الكهف) وحوار أصحاب الجنة (القلم) ومن مشاهد القيامة المعروضة حوار الله تعالى مع عيسى عليه السلام (المائدة) ، فيما يتصل بكونه وأمه إلهين من دون الله ونفيه ذلك ، وعدم تجاوزه ما أُمره الله به ، ورد أمر القائلين بذلك إليه ، والخلوص من ذلك كله إلى الحقيقة المقررة ، وهي مآل الصادقين إلى الجنة ، ورضوان الله عنهم .

وبعد أن ناقشت المؤلفة موضوع الحوار وطرفيه وأسلوبه ومفرداته وآداب الخطاب فيه ، خلصت إلى ملامح دلالية عامة لمشاهد الحوار يوم القيامة : دلالة الألفاظ والعبارات

والأساليب اللغوية والفاصلة القرآنية ، وإلى ملامح بيانية لتلك المشاهد ، من تشبيهات واستعارات ومجازات وكنايات .

إن أبلغ درس نفيد منه في هذا المقام هو المواقف التعليمية التربوية في ضرورة الحوار والإقناع لا الإكراه وفرض الرأي ؛ فالله تعالى – وهو صاحب القدرة المطلقة – يحاور الكفار قبل سوقهم إلى مصيرهم ، فلا يؤولون إلى هذا المصير إلا بعد اقتناعهم بأنهم يستحقونه ! .

وفي ظني – والظن هنا بمعنى اليقين – فقد أضافت المؤلفة إلى مكتبة الدراسات الإسلامية إضافة نوعية ، وتناولت موضوعا قلما تناولته الأقلام وسُودت به الصحائف ، فاستحق أن ينصرف إليه القارئ انصراف المحتفل به ، المحتفي بمضمونه .

الله الهادي إلى سواء السبيل

العاشر من ربيع الأول ١٤٣٦ هـ

غرة السنة الميلادية ٢٠١٥ م

الدكتور : عمر الأسعد

المقدمة

باسم الله والحمد لله منزل القرآن وملهم البيان ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام ، أما بعد ...

فللقرآن الكريم وجه بارز في الإعجاز ؛ ذلك هو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس تستبشر به القلوب ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت نصيبها من اللذة والحلاوة ، عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشتها الرهبة والشدة ، وهو بذلك قادر على تغيير ما يقر في القلوب من معتقدات راسخة ، ومبادئ ثابتة ، ويعد أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب البارزة في آي القرآن الكريم في تصوير مشاهد القيامة ، وما فيها من نعيم وعذاب ، ولما كان أسلوب الحوار عنصراً أساسيا في وصف مشاهد القيامة ؛ فقد ارتأيت أن أدرسها من زاوية ما يدور فيها من حوارات بين الأطراف المختلفة التي تدور حولها هذه المشاهد ، إذ من المؤكد أن للغة الحوار البلاغية ، ودلالاتها وأطرافها تأثيراً واضحاً في مجال الترغيب والترهيب وتقريب صورة غير المحسوس الغيبي إلى الأذهان بأسلوب حسي هو الحوار ، لذلك لا بد من الوقوف على الدلالات الدقيقة لألفاظ الحوار ، والأساليب المستخدمة فيه لتجلية اللمسات البيانية وإظهار إعجاز التعبير القرآني في هذه المشاهد تحديدا .

وتقوم هذه الدراسة على توضيح آيات الحوار في مشاهد يوم القيامة من الناحيتين : الدلالية والبيانية ، وتحليل المشهد القرآني بجزئياته وكلياته ، وربط الحوار بالسياق الذي ورد فيه ، وتوضيح الدلالات الدقيقة للألفاظ ، وبيان أوجه التشابه والاختلاف في الجملة الحوارية ، وما فيها من تقديم وتأخير وحذف ، وتحليل المشهد القرآني بما فيه من قصر وطول ، وفواصل قرآنية ، وتنوع في الأساليب البلاغية من أمر ونهي واستفهام وتقرير وجواب ، وما تخرج إليه هذه الأساليب من معان كالتبكيت والتهويل والتشويق والنفي والإقرار والتعجب .



الفصل الاول

الحوار في القرآن

أولاً : الحوار في اللغة والاصطلاح

ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ، هي : قوله تعالى : " **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** " (الكهف : ٣٤) .

وقوله تعالى : " **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** " (الكهف : ٣٧) .

وقوله تعالى : " **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** " (المجادلة : ١) .

والحَوْر : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، حارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً وحُؤُوراً: رجع عنه وإليه ، والحَوْرُ: الرجوع. يقال: حارَ بعدما كارَ. والحَوْرُ النقصان بعد الزيادة لأنه ؛ رجوع من حال إلى حال ، وأَحَرْتُ له جواباً ، وما أَحارَ بكلمة ، تقول: سمعت حَوِيرَهما وحِوَارَهما . والتَّحاوُرُ: التجاوب ، وتقول : كلَّمته فما أحار إِليَّ واباً واستحاره أي استنطقه ([1]).

وجاء في المفردات ([2]) : الحَوْر : " التردد إما بالذات وإما بالفكر ، والمحاورة والحَوار : المُرَادّة في الكلام ومنه التحاور " ، قال تعالى : " **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** " (المجادلة : ١).

أما الحِوَار في الاصطلاح كما عرفه بعض الباحثين ، فهو " مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر ، حول موضوع محدد ، بصورة متكافئة ، ويغلب عليه الهدوء في الوصول إلى الحق ، والبعد عن التعصب والخصومة " ([3]) .

([1]) انظر : لسان العرب : مادة حور .

([2]) انظر : المفردات : مادة حور .

([3]) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ٦ .

وهو " نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ؛ فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والغضب " (1) .

أو هو : " مناقشة بين طرفين أو أطراف ، يُقصد بها تصحيح كلام ، وإظهار حجة ، وإثبات حق ، ودفع شبهه ، ورد الفاسد من القول والرأي " (2) .

ويمكن تعريفه بأنه " مراجعة الحديث بين طرفين ، ينتقل من الأول إلى الثاني ، ثم يعود إلى الأول ، وهكذا ودون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة " (3) .

ألفاظ مرتبطة بالحوار

الجدل :

اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها ، وقد جادله مجادلة وجِدالاً (4) ، وقال الراغب الأصفهاني : " الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه ، وقيل الأصل في الجدال : إسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة وهي الأرض " (5) .

وقال الجرجاني : " الجدل دفع المرء خصمه من إفساد قوله بحجة أو شبهه ، أو يقصد به تصحيح كلامه ، وهو الخصومة في الحقيقة " (6) .

---

(1) الحوار أصوله وآدابه وكيف نربي أبناءنا عليه ٣٠ .

(2) أصول الحوار وآدابه في الإسلام ٦ .

(3) الحوار في القرآن الكريم – معن محمود ضمرة ٨ .

(4) انظر : لسان العرب : مادة جدل .

(5) المفردات : مادة جدل .

(6) التعريفات ٧٨ .

فالجدال فيه قوة في الكلام ، وإظهار للحجج القوية والأدلة الواضحة البينة ، وقد يظهر الغضب على المُحاور في بعض الأحيان ، والجدال على نوعين ([1]) كما يتبين من القرآن الكريم ، فالأول جدال محمود كقوله تعالى : " **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** " (النحل : ١٢٥) .وهو جدال مطلوب ، يقتضيه المقام .

والثاني جدال مذموم والمقصود به إفحام الخصم ، ولو بدحض الحق وإظهار الباطل كقوله تعالى : " **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ** " (الكهف : ٥٦) .

المُحاجة :

الحُجَّة " ما دُوفِعَ به الخصم ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجَّةَ ، واحْتَجَّ بالشيءِ: اتخذه حُجَّة " ([2]) ، وقال الجرجاني : " الحُجة ما دُلَّ به على صحة الدعوى ، وقيل : الحجة والدليل واحد " ([3]) وقال الراغب : " الحُجة الدلالة المبينة للمَحجة أي المقصد المستقيم ، والذي يقتضي صحة أحد النقيضين ، والمُحاجة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته " ([4]) . قال تعالى : " **وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ** " (الأنعام : ٨٠) ، قال أبو حيان في تفسير هذه الآية : " المحاجة : مفاعلة بين اثنين مختلفين في حكمين ، يدلي كل منهما بحجته على صحة دعواه " ([5]) .

وترى الباحثة أن هذه المصطلحات متداخلة ، يفضي بعضها إلى بعض ؛ فقد يتحول الحوار إلى جدال وفق ما يقتضيه المقام ، ولا بد للمُحاور أو المجادل من الحجة الدامغة التي تقتضي صحة القول ، وقد جمع الله بين الحوار والمجادلة في موقف واحد : قال تعالى : "

---

(١) انظر : الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ٢٦ .

(٢) انظر : لسان العرب : مادة حجج .

(٣) التعريفات ٨٦ .

(٤) المفردات : مادة حجج .

(٥) البحر المحيط ٤ : ١٧٤ .

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " (المجادلة : ١) ، والتجادل هنا من النوع المحمود الذي وصفه الله تعالى بالأحسن " **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** " (النحل : ١٢٥) .

كما أن الغاية من الحوار إقامة الحجة ، ودفع الشبهة ، والفاسد من القول والرأي ، وهو تعاون بين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها ، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها ، وكلها غايات مشتركة بين الحوار والجدال المحمود والمُحاجة .

أركان الحوار

نتبين من خلال هذه التعريفات أن أركان الحوار:

طرفا الحوار ، قد يكون الحوار بين أكثر من طرفين ، وهم الأشخاص الذين تتم بينهم المراجعة في الكلام ، وليس كل شخص مؤهلاً للدخول في الحوار الصحيح الهادف ، وإنما يجب أن تتوافر في المحاورين شروط وصفات أهمها : العلم بموضوع الحوار ، والتحلي بآدابه ومعرفة أصوله وضوابطه ، ومن الضروري أن يعرف كل محاور الطرف المقابل له معرفة دقيقة ، ويعلم قدره ومنزلته وعلمه وأحواله ، إذ إن هذا يفيد في تحديد الأسلوب المناسب للحوار ، واختيار الألفاظ التي يقتضيها المقام ، وفي هذا يقول الجاحظ : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها ، وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاما ،حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات " ([1]) ، وقد أولى القرآن الكريم هذه الناحية أهمية كبيرة ؛ فقد ورد في سورة هود في سياق قصة ضيوف لوط عليه السلام أنهم عرّفوا بأنفسهم قبل بداية الكلام معه ، وهذا من آداب الحوار وأصوله ، قال الله تعالى : " **قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ ربك** " (٨١) ، يقول الزمخشري في تعليقه على هذه الآية :

([1]) البيان والتبيين ١ : ١٣٨ – ١٣٩ .

"فأول ما أعلموا به أنهم رسل " ([1]) ، وكذلك المَلَك الذي أُرسل إلى مريم ، فأخبرها بحقيقته ، ثم أعلمها بمهمته ، " **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** " (مريم : ١٩) ، وقد وجه الله موسى وهارون عليهما السلام عند إتيانهما فرعون أن يبدآ بالتعريف بنفسيهما ثم بمهمتهما ، " **فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** " (طه : ٤٧) ، ومنه ما جاء في سؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة في قوله تعالى : " **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ** " (الذاريات : ٢٥) يقول الزمخشري في هذه الآية : " أو كان هذا سؤالاً لهم كأنه قال : أنتم قوم مُنكَرون فعرفوني مَن أنتم " ([2]) .

القضية أو المحور الذي تدور حوله مراجعة الكلام ، وتحديد القضية وسيلة من وسائل ضبط الحوار ، تمنع تشعبه ودخوله في متاهات واستطرادات ، فقد يختلف المتحاورون في مسائل عديدة لا في مسألة واحدة ، فينتقل الحوار من مسألة إلى أخرى دون أن يُتفق على المسألة الأولى ، فيتشعب الحوار ويطول في أمور فرعية بعيدة عن موضوع المحاورة ، ولهذا يكون الحوار عائماً لا زمام له ، ولا ينتهي إلى نتيجة ، ويلحق في هذا الأصل أن يتثبت الإنسان من كلامه ؛ فلا يقبل كلاماً إلا بعد أن يتثبت منه ، ولا يتكلم بكلام إلا بعد التيقن من صحته .

الهدف من الحوار ، الوصول إلى الحق ، والاعتراف به ، والخضوع له ، وإفساد الباطل ، ونفي الشبهه ، والتراجع عن الخطأ ، وينبغي أن يكون الهدف من الحوار الإخلاص في الوصول إلى الحق ، وصدق النية لإرضاء الله وإعلاء كلمته ، يقول يحيى بن محمد زمزمي : " ولا ينبغي أن يدخل الداعية في حوار ما لم يكن متأكداً من أن نيته لله عز وجل ، متخلصاً من قصد الرياء والسمعة ، بعيداً عن قصد الظهور على الخصم "([3]) .

([1]) الكشاف ٣ : ٢١٦ .

([2]) الكشاف ٥ : ٦١٥ .

([3]) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ١٣١ .

أصول الحوار في القرآن :

إيراد الأدلة والبراهين الدامغة في الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ ، والسير في طرق الاستدلال السليم للوصول إلى الحق ، وسلامة الكلام وخلوه من التناقض ، والمقصود إيفاء المخاطب بالأدلة والبراهين ، ثم البناء على هذه الأدلة ، وهي طريقة متبعة في القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : " **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** " (الأنبياء : ٢٤) ، والاستفهام هنا إنكار للواقع من الذين اتخذوا آلهة غير الله ، وقد جاءت هذه الآية بعد سرد مجموعة من الأدلة على ألوهية الله وتفرُّده في الكون بخلق السماوات والأرض والملائكة ، وينكر الله على الكافرين اتخاذهم آلهة من دونه ، ويتحداهم أن يأتوا بالدليل والبرهان ، وهي وسيلة من وسائل إثبات الحق وإفحام الخصم ؛ أي مطالبته بالدليل والحجة ، وهي ضرورة من ضرورات الحوار ، يقول أحد الباحثين : " وإن أهم ما ينجح الحوار وأول ما ينبغي استحضاره والعناية به الدليل ؛ فإن الإقناع لا بد أن يكون بالحجة والبرهان ، لا بمجرد الكلام ، والرد من غير دليل بمنزلة هدم العلم بالشك المجرد ، وسوق الحقائق المجردة أقل تأثيراً في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة " (١) .

ومن أصول الحوار ألا يورد دليلاً أو حجة إلا وهو يعرف صحتهما ، ويثق بهذا الدليل الذي أورده ، وينبغي أن يتوثق من أدلة الطرف الآخر ، يقول الخطيب البغدادي : " فإن كان الدليل الذي استُدلَّ به غامضاً يحتاج إلى بيان وجب السؤال عنه ، وإن تجاوزه إلى غيره كان مخطئاً ؛ لأنه لا يجوز تسليمه إلا بعد أن ينكشف وجه الدليل من جهة المسؤول على ما سأله عنه ، وإن كان الدليل ظاهراً جلياً ، لم يجُز هذا السؤال ، وكان السائل عنه متعنتاً أو جاهلاً " (٢) .

---

(١) الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة ٣٠٩ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢ : ٨١ .

ومما يتصل بإيراد الأدلة والبراهين قدرة المحاور على الإتيان ببراهين أخرى ، إذا رأى أن محاوره لم يقتنع ببرهانه ، أو تحداه بالقدرة على مثل هذا البرهان ، ويلزم في هذه الحالة أن يكون البرهان أقوى في الإقناع ، وأكثر إسقاطاً لحجة الخصم في الوصول إلى الحقيقة ، لننظر في حوار إبراهيم عليه السلام مع نمرود بن كنعان ، أول من ادعى النبوَّة ، " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** " (البقرة : ٢٥٨) ، فقد أتاه إبراهيم ببرهان قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة ، فزعم أنه قادر على ذلك ؛ بأن يعفو عن شخص أو يأمر بقتله ، فيكون قد أحياه أو أماته ، ولم يتمسك إبراهيم بهذا الدليل ، وترك خصمه يعتقد بقصور هذا التفسير للإحياء والإماتة ، وبادره بدليل آخر ، وهو الإتيان بالشمس من المغرب ؛ فإن خُيِّل إليه أنه قادرٌ على مواجهة الدليل الأول ، فقد أُسقِط في يده ، فلم يكن قادراً على مواجهة الدليل الآخر .

وينبغي أن يكون الدليل موثوقاً في مصدره ، والدليل نوعان : نقلي وعقلي ؛ فأما النقلي فما جاء في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الصحيحة ، وأما العقلي فهو ما يخضع للعقل والمنطق من إجماع أو قياس ، مما لا يتعارض مع نصوص الشرع ، ويجب توخي الكثير من الحذر في الأدلة العقلية ، وإخضاعها للنصوص الشرعية وفق القاعدة التي تقول : "كل ما عارض الشرع من العقليات فالعقل يعلم فساده" ([1]) ، يقول ابن تيمية : "إن ما يسميه الناس دليلاً من العقليات والسمعيات ليس كثير منه دليلاً ، وإنما يظنه الظانّ دليلاً ، وهذا متفق عليه من العقلاء ؛ فإنهم متفقون على أن ما يسمى دليلاً من العقليات والسمعيات قد لا يكون دليلاً في نفس الأمر ، فنقول : أما المتبعون للكتاب

([1]) درء تعارض العقل والنقل ١ : ١٩٤ .

والسنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فهم متفقون على ما جاء بـه الشـرع ، في بـاب الإيمان بالله تعالى ، وأسمائه وصفاته واليوم الآخر، وما يتبع ذلك " ([1]) .

العلم بموضوع الحوار والإلمام بجوانبه المختلفة ، والنظر والتأمل وتلمس الحق واستجلاؤه ، إذ لا يجوز للإنسان أن يدخل في حوار قبل أن يستكمل أدواتـه العلميـة والعقليـة ، وأن يكون كلامه واضحا بيّناً مؤيداً بالبراهين والحجج ، وقد أنكـر الله علـى الـذين يجـادلون دون علم فقال : " **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُـدًى وَلَـا كِتَـابٍ مُّـنِيرٍ** " (الحج : ٨) .يقول القرطبي : " في الآية دليل علـى المنـع مـن الجـدال لمـن لا علـم لـه ، والحظر على من لا تحقيق عنده " ([2]) .

البعد عن اللجج ورفع الصوت والغلظة في القول ، ونبذ التعصـب وتجنـب التطـرف والتمسـك بالرأي ، قال الله تعالى في مخاطبة موسى وهارون عليهما السلام : " **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَـوْنَ إِنَّـهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** " (طه : ٤٣ - ٤٤) مع علم الله المسبق بأن فرعون لن يستجيب لهما ، إلا انه أمرهما باللين في القول على سـبيل تعليمهمـا أسـاليب الحوار والجدال ، ومع علم موسى وهارون عليهما السلام بجبروت فرعون وطغيانه ، إلا أنهما راحا يحاورانه بالحسنى ، لأن هذا أصل من أصـول الحـوار النـاجح المـؤثر ، يقـول الزمخشري في تفسير هذه الآية : " اذهبا على رجائكما وطمعكما ، وباشـرا الأمـر مباشـرة من يرجو ويطمـع أن يثمـر عملـه ولا يخيـب سـعيه " ([3]) . وتـرى الباحثـة أن مـن تمـام الإحسان في القول أن يكون المتكلم صادقاً ، ويتحرى الصدق في كلامه ؛ لأن ذلك يجعل لكلامه أثراً في نفوس الناس ، يقول الله تعالى : " **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِـيَ أَحْسَـنُ** " (الإسراء : ٥٣) .

([1]) المصدر السابق ١٩٢ .

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٥ : ١٦٥ .

([3]) الكشاف ٤ : ٨٤ .

ويلحق في هذا الأصل تجنب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث ، وعدم تعمد إيقاع الخصم في الإحراج ، وتجنب الصوت المرتفع ، بل إن صاحب الصوت العالي لم يعلُ صوته في أغلب الأحيان إلا لضعف حجته ، وقلة بضاعته ، وعدم قدرته على إقناع الطرف الآخر ([1]) ، إلا في حال التمادي في الباطل والظلم ، وهي حالات استثنائية يُسوّغ فيها اللجوء إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر ، والهجوم الحاد المركز على الخصم ، وذلك بسبب تجاوزه ، يقول تعالى : "**لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** " (النساء : ١٤٨) .

الحرية والاستقلال في التعبير عن الرأي ، واتخاذ الموقف .

إن مصادرة أفكار الآخرين وتجاهلها والتعصب للرأي من أبرز أسباب الفشل في الحوار ، ويؤدي إلى اتساع الخطأ ، وبالتالي يصعب تصويبه ، وقد دعا الله تعالى إلى الحرية في التعبير واستقلال الرأي ، يقول الله تعالى : " **وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** " (يونس : ٤١) .

والمرجع في حرية الفكر والرأي هو العقيدة السليمة والشريعة الإسلامية ، يقول الخطيب البغدادي : " وينبغي للمجادل أن يُقَدِّمَ على جداله تقوى الله " ([2]) ، ومن المسلم به أن الشريعة الإسلامية تفتح باب الفكر وحرية التعبير على مصراعيه ، ضمن الأُطر والقواعد التي وردت في الكتاب والسنة ، يقول الباحث أحمد الصويان : " إننا في أمس الحاجة إلى تربية الأحرار ، أعني أن يكون الإنسان المسلم ناضجاً ، عميق النظر ، حر التفكير، متحرراً من إسار الآخرين ، لا يصادر عقله شيخ ، ولا يذوب في حزب ، منهجه منهج القرون المفضلة الأولى ، تضيؤه أنوار الكتاب العزيز والسنة النبوية المشرفة ، يبني عليهما كل مسلماته الشرعية " ([3]) ، وترى الباحثة أن من تمام الإنصاف والعدل قبول

([1]) انظر : أصول الحوار وآدابه في الإسلام ٢٦ .

([2]) الفقيه والمتفقه ٢ : ٤٧ .

([3]) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ٦١ .

الحق من الخصم ، والتفريق بين الفكرة وصاحبها ، وأن تكون الصحة مقياس الحكم على الفكرة ، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة وإن خالفت فكرته .

الصبر وسعة الصدر ، ينبغي أن يصبر المحاور على محاوره ، ويتجنب الاستعجال في الحكم ، يقول الخطيب البغدادي : " وإذا وقع له شيء في أول كلام الخصم فلا يعجل بالحكم به ؛ فربما كان في آخره ما يبين أن الغرض خلاف الواقع ، فينبغي أن يتثبّت إلى أن ينتهي الكلام ، ويكون نطقه بعلم وإنصاته بحلم ، ولا يعجل إلى جواب ، ولا يهجم على سؤال ، ويحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلم ، ومن مناظرته فيما لا يفهمه "[1] .
والصبر خلق إسلامي فاضل ، أمر الله به ، وحث عليه ، يقول الله تعالى : " **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** " (آل عمران : ١٣٤) ، والصبر على المحاور وكظم الغيظ ، من سموّ الأخلاق ، ولا يكون ذلك إلا بالاستعانة بتقوى الله ، وثبات الإيمان في القلب ، يقول سيد قطب : " كذلك تعمل التقوى في هذا الحقل بنفس البواعث ونفس المؤثرات ، فالغيظ انفعال بشري تصاحبه أو تلاحقه فورة في الدم ، فهو إحدى دفعات التكوين البشري ، وإحدى ضروراته ، وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى "[2] .
يتبين مما تقدم أن الحوار وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق ونصرته ، ودفع الباطل الهدف منه الوصول إلى الحقيقة ، وهو أسلوب مستقل اعتنى به علماء الشريعة ووضحوا طرائقه وأساليبه ، والحوار الهادئ الملتزم يمكن أن يكون مفتاحاً إلى القلوب ، وطريقاً إلى الأفئدة ، ومحققاً لنتائج إيجابية كثيرة .

---

(١) الفقيه والمتفقه ٢ : ٥٩ .

(٢) في ظلال القرآن ٢ : ٧٧ .

ثانياً : أهمية الحوار في وصف المشهد

الحوار في المشهد القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً بموضوعه وطريقة عرضه كما هو الشأن في الأعمال الأدبية ، بل إن الحوار وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل ، وهو إبلاغ الدعوة وتثبيتها ، مع أن القرآن بإعجازه جمع بين الغرض الديني والغرض الفني في آن واحد ، وجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، يقول سيد قطب في وصف مشاهد القيامة في القرآن : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية .... فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل ، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلاً على مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع " (1) ؛ فالحوار يشكل انعكاسا لدواخل الأشخاص وانفعالاتهم النفسية وسماتهم وطبائعهم ، وهو خير وسيلة لتصوير الانطباعات والمواقف ، يقول صلاح الدين عبد التواب : " أما القرآن فقد كان طريقه إلى العقل هو ذات الطريق إلى القلب والوجدان ، واتخذ لذلك وسيلة التصوير فبلغ الغاية في مادته وطريقته " (2) .

فالحوار وسيلة ناجحة لدعوة الناس إلى الدين ، وهو طريق لتوحيد الآراء ، وقد ورد الحوار في القرآن في قالب من الفن الرفيع ؛ فكان أدعى للقبول والإقناع ؛ فجمع بين التأثير على العقل بالأصول والقواعد المنهجية في الحوار ، والأدلة والحجج الدامغة الجلية والتأثير على العاطفة بالأساليب البيانية ، التي تخاطب الوجدان فتهزه ، وتناجي النفوس فتأسرها .

---

(1) مشاهد القيامة في القرآن ٧ .

(2) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ١٨٧ .

ثالثاً : من أنواع الحوار في القرآن الكريم وأطرافه

تعددت الحوارات في القرآن الكريم ، وكثرت مواضعها ومضامينها ، وستعرض الباحثة في هذه الدراسة بعضاً من نماذج الحوار ، فيما يتعلق بقصص الأنبياء والرسل ، وبعضاً من نماذج الحوارات خارج نطاق النبوة ، وذلك تمهيداً لعرض حوارات مشاهد القيامة ، وللدلالة على أهمية الحوار في القرآن ، في إبراز الأغراض الدينية المختلفة ، التي يرمي إلى تثبيتها .

١. حوارات الرسل مع أقوامهم

أرسل الله تعالى إلى عباده رسلاً مبشرين ومنذرين ودعاة إلى التوحيد ، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلى التحلي بمكارم الأخلاق ، وينذرونهم عذاب الله تعالى ، وقد كانت قضية التوحيد القضية الأولى في دعوة الرسل ، يقول تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** " (الأنبياء : ٢٥) ولم تكن هذه المهمة سهلة على الأنبياء ؛ وذلك لأن الشرك كان متأصلا في نفوس أقوامهم ، وقد وجدوا آباءهم يعبدون الأصنام أو النجوم والكواكب ، ولم يتقبلوا فكرة التوحيد وفكرة البعث .

فمنهم من أخذته العزة بالإثم ، وشعر بالأنفة من أن يتبع رسولاً اتبعه الضعفاء والفقراء ، كقوم نوح ، فقد كفروا وتكبروا ، وكان جوابهم لما دعاهم إلى الإيمان : " **وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** " (هود : ٢٧) .

ومنهم من تكبر وطغى ورفض الحق وتمادى في الظلم ، كقوم شعيب ، فكان جوابهم لما دعاهم إلى عبادة الله : " **يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** " (هود : ٩١) .

ومنهم من اتهم الأنبياء بالجنون أو السحر ، كما أجاب فرعونُ موسى ، لما دعاه إلى توحيد الله ، بعد أن أراه كل الآيات المعجزة ، فكان جوابه : " **أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا**

بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى " (طه : ٥٧) ، وكما كان جواب قوم قريش للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، لما تبينت لهم معجزة القرآن ، وعجزوا أن يأتوا بمثله : " **إِنْ هَـذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ** " (المدثر : ٢٤) .

ومنهم من اتهم الأنبياء بالسفه والجهل ، وناصبوهم العداء ، واستهزؤوا بهم ، " **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ** " (الحجر : ١١) ، وكل ذلك من التمادي في الظلم والطغيان في الكفر ، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بقصص الأنبياء في القرآن الكريم ، وذلك ليكونوا عبرة لمن يتفكر في قصصهم ، " فإن الأنبياء والمرسلين هم مصابيح الهدى ، الذين أناروا السبيل ، وأوضحوا الطريق ، وأبانوا المنهاج ، داعين إلى عقيدة واحدة ، هي التوحيد على اختلاف فترات كل منهم " ([1]). صلى الله وسلم عليهم أجمعين ، ويقول الله تعالى : " **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** " (يوسف : ١١١) ، فالأخبار الواردة في هذه القصص أخبار صادقة ، أوردها الله تعالى في القرآن لتكون عبرة للناس جميعاً ، وهي جديرة بالدراسة والتفحص لكل ما جاء فيها .

وقد جاءت قصص الأنبياء موزعة على آي القرآن الكريم قصارها وطوالها ، مكيّها ومدنيّها ، وجاءت بعض القصص مكررة في أكثر من سورة مقسمة إلى أجزاء ، تُذكر القصة في كل مرة من زاوية مختلفة ، يكون لها دور في خدمة السياق الذي وردت فيه ، وقد اتخذ القرآنُ الحوارَ أسلوباً أساسياً في القصة ؛ لما له من نتائج طيبة في التأثير على النفوس كما تقدم ذكره ، وجاءت حوارات الأنبياء موزعة على آيات القصص في القرآن الذي يفسر بعضه بعضا ، وهي حوارات كثيرة تدور حول قضية التوحيد ، وما يتبعها من التوبة والعبادة والبعث والثواب والعقاب ، ولجأ الأنبياء في محاورة أقوامهم إلى أساليب مختلفة في الإقناع والتأثير ومخاطبة العقل والوجدان ، وهي كثيرة ومتنوعة في الأساليب والمضامين ، وقد لجأت الباحثة إلى أسلوب الانتقاء فاختارت حوارات قصة خلق آدم

([1]) قصص الأنبياء ٣ .

عليه السلام ، وحوارات إبراهيم عليه السلام مع قومه . أما عن الحوارات التي تتعلق بقصة خلق آدم عليه السلام ، فذلك لأنها تتعلق بقضية مشيئة الخلق ، وخلافة الإنسان على الأرض ، ولما لها من توضيح لعلاقة الإنسان بالله تعالى من جهة ، وبالشيطان من جهة أخرى ، وما يتعلق بالتوبة والإنابة إلى الله ، ولما لهذه الحوارات من تنوّع في أطراف الحوار ، كما سيتم توضيحه .

أما عن حوارات إبراهيم عليه السلام مع قومه فهي تتعلق بقضية التوحيد ، وعبادة الله ، وقدرته على إحياء الموتى ، مدعمة بالحجج والأدلة والبراهين ، والتدرُّج في الإقناع ، وهي متشعبة الأطراف ، كما سيتضح في الصفحات المقبلة .

- **حوار قصة خلق آدم عليه السلام**

وردت حوارات قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة والأعراف والحجر والإسراء وطه ، وستعمل الباحثة على إيراد الحوارات من هذه السور وفق ما يقتضيه تسلسل أحداث القصة .

يخبر الله تعالى ملائكته بمشيئته خلق الإنسان ، والمقصود آدم عليه السلام ، ويذكر لهم الغاية من خلقه ، وهي الخلافة في الأرض وإعمارها ، وإطلاق يده فيها ، وتسليمه زمامها ، " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** " (البقرة : ٣٠) .

وجاء إخبار الملائكة بمشيئة الخلافة على الأرض لتعريفهم بحكمته ؛ وذلك في علم الله الواسع أنهم سيسألون عن الحكمة ، فيكون الجواب بذكرها ، أو ليعلِّم الله عباده المشاورة بينهم في عظائم الأمور، وإن كان الله بعلمه غنياً عنها ، وترى الباحثة أن إخبارهم من باب الإعلام ، تشريفاً وتكريماً لهم ، ولما سيكون لهم من دور ، وما سيوكل إليهم من مهام تتعلّقُ بهذا المخلوق الجديد ؛ فهناك الملائكة التي تتنزل على الرسل ، والملائكة التي تسجل الأعمال ، والملائكة التي تقبض الأرواح ، إذن ستكون الملائكة معيناً للإنسان على أداء رسالته في الدنيا ، أما في الآخرة فلها دورٌ بارز في أداء الجزاء ،

وإيفاء الحقوق ؛ فهناك ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب "الزبانية" وهناك خازن الجنة "رضوان" وخازن النار "مالك" ، وغيرها الكثير من المهام في الدنيا والآخرة .

وقد خفيت على الملائكة الحكمة من خلق الإنسان وخلافته في الأرض ، فأذن الله تعالى بعظمته وجلاله أن يسألوه عنها ، " **قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** " (البقرة : ٣٠) ويستجيب الله لسؤال ملائكته ، ويخبرهم أن علمه واسع ، وحكمته بالغة ، وأنه عز وجل يعلم ما يخفى عليهم ، ويقيم الدليل على علمه الواسع ، بأن علّم آدم الأسماء كلّها ، أي أسماء أجناس الأشياء كتسمية القمر والشجر وغير ذلك ، وهي نعمة جليلة وحكمة عظيمة ؛ إذ لا يمكن تصَوُّر إعمار الأرض ، واستمرار الحياة دون القدرة على الرمز بالأسماء على المسميات ، ولا سبيل للتفاهم والتعامل ، ولا تقوم دونها حياة ، أما الملائكة فلا حاجة بهم لهذه الأسماء ، فلم يعرفوها ، " **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** " (البقرة : ٣١ – ٣٢) ، وانتهى المشهد بتسبيح الله وتعظيمه ، واعتراف الملائكة بمحدودية علمهم ، " **قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** " (البقرة : ٣٣) وفي قوله " **أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** " ، استحضار لقوله " **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** " وهو استفهام تقريري ، تحقق فيه ما أكّده في الجملة الخبرية سابقاً .

وأمر الله الملائكة أن تسجد لآدم تكريماً له ، فامتثلت لأمره ، إلا إبليس أبى واستكبر ورفض الامتثال لأمر الله ، وأظهر ما في نفسه من ضغينة وحقد ، " **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** " (البقرة : ٣٤) يقول سيد قطب : " ويوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة ، إنما كان معهم ؛ فلو كان منهم ما عصى ، والاستثناء هنا لا يدل على أنه من جنسهم ؛ فكونه معهم يجيز

هذا الاستثناء" ([1]) ، وقال الزمخشري في هذه الآية : " والاستثناء متصل لأنه كان جنيّاً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة ، مغموراً بينهم ، فَغُلِّبوا عليه في قوله "فسجدوا" ثم استُثْنى استثناء واحد منهم " ([2]) .

أما عن ذريعة إبليس في عدم السجود ؛ فقد ورد بيان ذلك في موضع آخر من القرآن الكريم ، ضمن حوار دار مع الله عز وجل ، يسأل الله فيه عن المانع من السجود مع علمه به ، للتوبيخ ، ولإظهار معاندة إبليس ، وكفره وافتخاره بأصله ، وتحقيره أصل آدم عليه السلام ، " **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** " (الأعراف : ١٢) ، يقول الحافظ ابن كثير : " قال بعض النحاة : " لا في "**أَلاَّ تَسْجُدَ**" زائدة لتأكيد الجحد ، وردُّ إبليس أنا خير منه ، من العذر الذي هو أكبر من الذنب ، لأنه نظر إلى أصل العنصر" ([3]) .

وقد ترتب على هذه المعصية أن غضب الله تعالى عليه ، وطرده من الجنة ، وكتب عليه الصغار لتكبره ، " **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** " (الأعراف : ١٣) ، ولكن إبليس لم يستسلم وأضمر في نفسه الانتقام من آدم ، فطلب من الله إمهاله إلى يوم الدين ، فأجاب الله طلبه في الإمهال ، " **قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ** " (الأعراف : ١٤- ١٥) ، وذلك ابتلاءً للعباد ، حتى يتبين الخبيث من الطيب منهم ، وقال القاسمي: " أنظرني" أي لا تمتني "([4]) ، وهذا يعطيه متسعاً من الوقت لإغواء آدم وذريته الذي كان سبباً في مأساته وطرده من الجنة ، وفق اعتقاده ، فقد توعَّدهم بالغواية ، وأنه سيقعد لهم على طريق العبادات والطاعات ، التي تقربهم إلى الله ، كما أفصح عن ذلك بقوله : " **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ**

([1]) في ظلال القرآن ١ : ٦٨ .

([2]) الكشاف ١ : ٢٥٤ .

([3]) مختصر تفسير ابن كثير ٣ : ٨ .

([4]) محاسن التأويل ٧ : ٢٦٣١ .

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" (الأعراف :١٦، ١٧) وترى الباحثة أن هذا مرتبط بطبيعة آدم التي تجمع بين الاستعداد للخير والشر ، وللفضيلة والرذيلة ، وأن إبليس يدرك هذه الطبيعة ، ويراهن عليها ، بدليل قوله : " وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ " ، وقال أكثرهم ولم يقل كلهم ؛ وذلك لأن إبليس يعلم أن من عباد الله من لا تؤثر فيه وسوسته وإغواؤه ، ويوضح هذا ما جاء في سورة الحجر " قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " (٣٩ – ٤٠) ، ومن هنا أتاح الله لإبليس فرصة الإغواء ، وترك لآدم فرصة الاختيار تحقيقاً للابتلاء ، وجاء حكم الله بطرد إبليس مذموماً مقصياً ، وتضمن الحوار قسماً من الله أن يملأ جهنم من إبليس وحزبه من الشياطين ، وكفار الإنس ، الذين انقادوا له ، وتركوا أمر الله ، "قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ" (الأعراف : ١٨) .

وأمر الله آدم وزوجه أن يستقرا في الجنة ، وقد أطلق لهما الأكل منها ، ولكنه نهاهما عن الاقتراب من شجرة واحدة بعينها ، " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ " (البقرة : ٣٤) .

ولكن إبليس لم يستسلم ، وقد توعَّد بني آدم بالإغواء والتضليل ؛ فزيّن لهما الأكل من الشجرة ، " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ " (البقرة : ٣٥) ، فأزلهما أي بمعنى أذهبهما أو أبعدهما ([1]) ، وذلك عن طريق الوسوسة ، ومن أسلوب القرآن الكريم ألا يذكر جوانب القصة كاملة ؛ فلا يذكر منها إلا ما يخدم السياق ، وينسجم مع الأحداث ؛ فيورد في موضع من سورة معينة بعض الأحداث والمشاهد ويستكملها في سورة أخرى ، ولم يرد في هذه الآيات من سورة البقرة ما دار بين إبليس وآدم من حوار حول الأكل من الشجرة، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ؛ فقد جاء في سورة الأعراف

([1]) الكشاف ١ : ٢٥٥ .

تفصيلٌ لهذا الحوار ، " **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** " (الأعراف : ٢٠) ، وسوس أي تكلّم كلاماً خفياً يكرره ([1]) قائلاً إن هذه الشجرة هي سبب الخلود ، أو أن تكونا من الملائكة ، وقال تعالى في سورة طه : " **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى** " (١٢٠) ، واقسم لهما على ذلك ، " **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** " (الأعراف : ٢١) . والمقاسمة تدل على المشاركة أي أنهما اشتركا في القسم ؛ فأقسم هو على النصيحة ، وأقسما هما بقبولها .

ونسي آدم وزوجه ما نهاهما الله عنه ، واندفعا إلى المعصية تحت تأثير الإغواء والقسم ، واستجابا لدعوة إبليس فأكلا من الشجرة رغبة في الخلود ، وهنا بدت لهما سوءاتهما ، وعندها تبين لهما سبب النهي عن الأكل من الشجرة ، فأخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ليستترا به ، " **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** " (الأعراف : ٢٢) ، وناداهما الله تعالى معاتباً ومؤنباً على المعصية وإغفال النصيحة إذ لم يلتزما بما أمرهما .

وعند نداء الله تعالى لهما ، وعتابه وتوبيخه إياهما ، أحسا بالندم ، والرغبة في الرجوع إلى الله ، واعترفا بذنبهما ، وبادرا بطلب الرحمة والمغفرة ، وإظهار الضعف والاستعانة بالله ، " **قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين** " (الأعراف: ٢٣) ، وهذا يفسر قوله تعالى : " **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** " (البقرة : ٣٧) .

وانتهى المشهد بتوبة الله على آدم عليه السلام ، وقضاء الله تعالى أن يهبط وذريته ويستقروا في الأرض ، ويستمتعوا إلى حين ، وأمرهم باتباع الهدى ، وتجنب غواية

([1]) الكشاف ٢ : ٤٣١ .

الشيطان ، " **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُـدَايَ فَـلاَ خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** " (البقرة : ٣٨) .

قص الله في هذه الآيات أمر الخلق والغاية منه ، بأسلوب المجادلـة والحـوار كمـا هـي سنته في مخاطبة الخلق ، وإن في هذا الحوار معانيَ قُصِدَت إفادتها ، وهي عبارة عـن شـأن من شؤون الله قبل خلق آدم ، وأنه كان يُعدُّ له الكون ، وشأن مع الملائكـة يتعلَّـق بخلـق نوع الإنسان ، وشأن آخر يتعلَّق ببيان كرامة هذا النوع وفضله ([1]) .

والعبرة التي سيقت من أجلها القصة ، تخاطـب جـانبي الإنسـان ، العقلـي والوجـداني ، وهـي ذات مغـزًى عميـق ، ترسـخ مبـدأ الخلافـة علـى الأرض ، والالتـزام بـأوامر الله ونواهيه ، وطبيعة العلاقـة بـين آدم وذريتـه ، وإبلـيس وذريتـه ، ومـا فيهـا مـن عـداوة وغواية ، ومبـدأ التوبـة والإنابـة إلى الله ، واشـتملت هـذه الآيـات علـى حـوارات ذات أطراف مختلفة ، بدأت بحوار الله مع الملائكة ، ثم حوار الله مع إبليس ، وحوار إبليس مع آدم عليه السلام وزوجه ، وحوار الله مع آدم عليه السلام .

- **حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه**

وردت حوارات إبراهيم عليه السلام مع قومه في سور كثيرة ، منها الأعـراف ومـريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت وإبراهيم والصـافات ، وقـد عمـدت الباحثـة إلى اختيـار حوارات سورة الأنبياء ، لأنها شاملة معظم تفصـيلات الحـوار ، وسـتلجأ إلى الاسـتعانة بحوارات السور الأخرى عند الحاجة .

أنكر إبراهيم على قومه عبادة الأصنام ، ودعاهم إلى الإيمان ، فبدأ الحوار مع أبيه ؛ لأنـه الأهم عنده في النصيحة ، وإنقاذه من الضـلال ، فسـأل أبـاه وقومـه عـن الأصـنام الـتي يعبدونها " **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَـا عَـاكِفُونَ** " (الأنبيـاء : ٥٢) والاستفهام بهذه الصيغة ، فيه تحقير لها ، وتصغير لشأنها ، وتجاهل لها مع علمه بشـأنها ، ولما سألهم أجابوه بالتقليد البحت ، وأنه فعل آبائهم اقتدوا به مـن غـير ذكـر دليـل ، ولا

([1]) انظر : تفسير المنار ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

برهان ، إنما هو التقليد " **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ** " (الأنبياء : ٥٣) ، فأجابهم مؤكداً إجابته : " **لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** " (الأنبياء : ٥٤) ، وقوله "في ضلال" دلالة على تمكنهم في ضلالهم ، وأنه ضلال قديم موروث ، وهو أبلغ من قوله "ضالين" ([1]) ، وظل قومه متعجبين من تضليله إياهم ، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة ، لا على وجه الجد ، فقالوا له مستهزئين : " **أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ** " (الأنبياء : ٥٥) فأجابهم : " **بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** (الأنبياء : ٥٦) ، برهن على ألوهية الله تعالى بأنه خلق السماوات والأرض ، وفطر الشيء يعني : "إيجاده وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال ، وفطرة الله هي ما ركّزَ فيه من قوته على معرفة الإيمان " ([2]) وترى الباحثة أن في اختيار هذه اللفظة ، في هذا السياق دلالة على إنكار إبراهيم عليه السلام لعناد قومه ، وانصرافهم إلى عبادة الأصنام ، وعدم التوجه إلى الله فاطر السماوات والأرض ، والتي أوجدها الله لتركيز فكرة ألوهيته ، وفي قوله "بل" ، إبطال حكمهم في قولهم لاعباً ، وأقسم إبراهيم أن يكيد لهذه الأصنام بعد أن يخرجوا إلى عيدهم وأضمر في نفسه تحطيمها ، " **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** " (الأنبياء : ٥٧) ، ويرى أبو حيان أن إبراهيم قال هذه الجملة سراً من قومه ، أو ربما سمعه رجل واحد منهم ، أو سمعه ضعفاؤهم ([3]) .

وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة في ظاهر البلد ([4]) ، فدعاه أبوه ليحضر ، " **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** " (الصافات : ٨٩) وكان لا يتخلف عن العيد إلا مريض ، ولما خرجوا إلى عيدهم ، واستقر هو في بلدهم ، ذهب إلى آلهتهم ، وكان قومه قد وضعوا بين أيديها

---

(١) انظر : محاسن التأويل ١١ : ٤٢٧٩ .

(٢) المفردات : مادة فطر .

(٣) انظر : البحر المحيط ٦ : ٣٠١ .

(٤) انظر : قصص الأنبياء ١٣٤ .

أنواعاً من الطعام قرباناً إليها ، فقال لها على سبيل التهكم والازدراء والتقليل من شأنها : " **أَلَا تَأْكُلُونَ ، مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ** " (الصافات ٩١ ، ٩٢) ، وقام بتحطيمهم جميعاً إلا كبيرهم ، ولما رجع قومه ، بُهتوا لِمَا رأوا ، وقالوا : "**مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ**"(الأنبياء : ٥٩) ، والأصل أن يسألوا أنفسهم : إن كانت هذه آلهة حقيقية فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن نفسها شيئاً ؟ لكنهم لم يسألوا هذا السؤال ، بل نقموا على من حطمها ، وهذا يفسر الضلال الواضح الذي ذكره إبراهيم عليه السلام ، وهنا تذكر الذين سمعوا إبراهيم ينكر على أبيه وقومه عبادتها ، ويتوعدها ، فقالوا : " **سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** " (الأنبياء : ٦٠) ، وقولهم "فتى" فيه دلالة على التصغير من شأنه ، وتجهيلهم لأمره ، وفي قولهم : "**يُقال له إبراهيم**" للتقليل من أهميّته ، وإفادة أنه مجهول لا خطر له (1) ، وأمروا بإحضاره على أعين الناس حتى يشهدوا ما يقول من عدائه لآلهتهم ، "**فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ**" (الأنبياء : ٦١) وسألوه "**أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** " (الأنبياء : ٦٢) ، وهم لا يزالون يصرون أنها آلهة وهي محطمة ، ولا يقيمون وزنا لعقولهم ، أو لما يبصرونه من تهشيمها ، وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها ، أما إبراهيم فيسخر منهم ، ويجيبهم إجابة تناسب مستوى عقولهم ، فيقول : "**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**" (الأنبياء : ٦٣) وفي جوابه بل فعله كبيرهم هذا تقريع وتوبيخ وتبكيت ، والقصد هو توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم والتفكر في عجزها ، وكانت النتيجة أنهم رجعوا إلى عقولهم ، وقالوا إنكم ظالمون بعبادتكم ما لا ينطق ، "**فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ**"(الأنبياء : ٦٤) ، ولكنهم عادوا لمكابرتهم ومجادلتهم "**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ**"(الأنبياء : ٦٥) أي ارتبكوا في ضلالهم ، وعلموا أن الأصنام لا تنطق ، فساءهم ذلك ، والنكوس : استعارة للذي يرتطم في غيه ، كأنه منكوس على رأسه ، وهي أقبح هيئة للإنسان ، فكأن عقله منكوس أي مقلوب ،

---

(1) انظر في ظلال القرآن ٥ : ٥٤٦ .

فرجـوعهم إلى أنفسـهم كنايـة عـن اسـتقامة فكـرهم ، ونكسـهم كنايـة عـن مجـادلتهم ومكابرتهم([1]) وقولهم "لقد علمـت" أي لا يخفـى علينـا ولا عليـك أنهـا لا تنطـق ، وقـد اتخذناها آلهة ، وتعكس هـذه الإجابـة مـدى تعنـتهم وتمسـكهم بالباطـل ؛ فهـم يعلمـون عجزها وقصورها إلا أنهم يتمسكون بعبادتها .

وجاءت هنا الفرصة لإبراهيم ، وهو ما كان يخطط له منذ البداية ، لإقامـة الحجـة علـى قومه ، فاستنكر عليهم عبادة ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، وتضجر من عنادهم ومكابرتهم بعد وضوح الحق ، وزهوق الباطل ، فقال : " **أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَـنفَعُكُمْ شَـيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** " (الأنبياء : ٦٦ – ٦٧) ، وعند ذلك أخذتهم العزة بالإثم ، ولم يجدوا حجة يجادلون فيها ، وأعـوزهم الـدليل ، ولم يجدوا سوى القوة سبيلاً للمواجهة ، فقالوا : " **حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـاعِلِينَ** " (الأنبياء : ٦٨) ونلاحظ دلالة التكثير والزيادة في الفعل "حَرِّقُوهُ" الـذي يعكـس غـيظهم وانهزامهم .

وكان الله مع إبراهيم ، والله مع الحق دائماً ، ينصره ويؤازره ، فقال : " **يَا نَارُ كُونِي بَـرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** " (الأنبياء : ٦٩) ونلاحظ هنا الجمع بين البرد والسلام ؛ فقد قـال المفسرون : " لو أن الله قال برداً فقط ، لأهلكه بردها " قاله الزمخشري ([2]) .

هذه حوارات قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة الأنبياء ، وهي تمثل نموذجاً من الصراع القائم بين الحق والباطل ، فقد تمسك قومه بكفرهم وعنادهم ، رغم إقامة الحجـة ووضوح الدليل .

- **حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود**

النمرود أحد ملوك الأرض ، وقد مكنه الله من الملك ، فطغى وتجبر وادعى الربوبية لنفسه ، وقد ذكر الله تعالى مُحاجة إبراهيم له ؛ فإنه لما سمع قول إبراهيم: ربي الذي

([1]) انظر : البحر المحيط ٦ : ٣٠٣ .

([2]) انظر : الكشاف ٤ : ١٥٤ .

يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت ، قال الله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** " (البقرة : ٢٥٨) وفي قول إبراهيم : " **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ** " هذا من إبراهيم جواب عن سؤال سبق من الكافر ، وهو أن قال : من ربك ؟ وإلا فلا يبدأ كلام بهذا ، وفي قوله : "الذي يحيي ويميت" دليل على الاختصاص " ([1]) ، فأجابه الملك الكافر : أنا أحيي وأميت ، ولم يقل أنا الذي ، وذلك لأنه يعلم في داخل نفسه أنه عاجز لا يستطيع بثَّ الروح في الجمادات ، أو إخراجها منها ، والقصد كما يقول الزمخشري : " أعفو عن القتل وأقتل "([2]) .

ولما رأى إبراهيم ما يدل على ضعف فهمه أو مغالطته ، لم يجادل فيه ، وإنما انتقل إلى ما لا يقدر فيه ، واختار حجة أخرى لا تجري فيها المغالطة ، فقال : " **فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** " أي إذا كنت تدعي أنك تُحيي وتُميت فاجعل الشمس تأتي من المغرب ، فبُهِت الذي كفر أي تحيَّر وغُلِب بالحجة . والله لا يهدي القوم الظالمين ، أي لا يلهمهم حجة ولا برهاناً .

وكذلك فاصلة الآية "**وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**" تؤكد المعنى وتمكنه ، وتتسق مع الآيات وما دار فيها من حوار ، فالله تعالى لا يهدي الظالمين ، الذين اتبعوا الضلال بغواية الشيطان ، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، ذلك أن الفواصل في القرآن تابعة للمعاني ، وهي طريق لإيصالها على أحسن وجه ([3]) .

([1]) انظر : البحر المحيط ٢ : ٢٩٩ .

([2]) الكشاف ١ : ٤٨٩ .

([3]) انظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٩٨ .

٢. حوارات خارج نطاق النبوّة

- **حوار ابني آدم عليه السلام**

تُبين هذه القصة نموذجا حيَّاً لطبيعة الشر والعدوان ، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ، وقد تلا الله علينا النموذجين بالحق ، " **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** " (المائدة : ٢٧) ، وابنا آدم هما قابيل وهابيل ، " وكان الله قد أوحى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر ، وكانت توأمة قابيل أجمل ؛ فحسد أخاه وسخط ، فقال لهما آدم : قربا قرباناً فمن أيهما تُقُبِّل زُوِّجها ، فَتُقُبِّلَ قربانُ هابيلَ " (١) ، هذا ما تذكره أغلب كتب القصص القرآني ، وكتب التفسير (٢) ، وترى الباحثة ضرورة الاكتفاء بما جاء في النص القرآني ، فالثابت أنهما ابنا آدم ، وأن كلاً منهما قدم قرباناً ، ولم يذكر القرآن سبباً لتقديم القربان ، فتقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، وهذا سبب كافٍ لاشتعال الفتنة والحسد بينهما ، فالعبرة ليست في الأسماء ، ولا يزيد القصة غنًى أن نعرف سبباً للقربان ، أما الحكمة في ذكر أنهما ابنا آدم ، فهي معرفة أن الخير والشر موجودان في ذرية آدم منذ بداية الخلق ، وأن الإنسان يستطيع بإرادته أن يُغَلِّب أياً منهما على الآخر ، والقربان : ما يتقرب به إلى الله ، وصار في المتعارف اسما للنسيكة ، التي هي الذبيحة وجمعه قرابين(٣) ، فَتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتَقبل من الآخر ، فحسده ، وقال : لأقتُلَنَّك على قبول قربانك ، يقول أبو حيان : "هذا وعيد وتهديد شديد ، وقد أبرز الخبر مؤكداً بالقسم المحذوف "(٤) ، ولما غلب الشر والحسد عليه ، وأقسم على قتله ، قابله أخوه بالتسامح ، وذكَّره بالتقوى وأنها سبب قبول الأعمال ، "**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ**

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ٥٠ .

(٢) انظر مثلاً : الكشاف ٢ : ٢٢٤ . والبحر المحيط ٣ : ٤٧٦ .

(٣) المفردات : مادة قرب .

(٤) البحر المحيط ٣ : ٤٧٦ .

الْمُتَّقِينَ واستسلم له ، وأعلن عدم نيته إيقاع الأذى عليه ، وإن كان دفعاً للظلم والعدوان ، "**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**" (المائدة : ٢٨) ، ونلاحظ في أسلوب الشرط اختلافاً في الصيغة بين الفعل والجواب ، فجاء فعل الشرط بصيغة الفعل الماضي ، وجوابه بصيغة اسم الفاعل ، وذلك لأن صيغة اسم الفاعل فيها اتصاف بالفعل ، وهذا يفيد أنه لا يفعل ما يتصف به هذا الوصف ، ولذلك أكده بالباء الزائدة المؤكدة للنفي في "بباسط" ، وهنا يظهر نموذج السماحة والتقوى ، مقابل الشر والعداوة والظلم ، ويستأنف مضيفاً التحذير إلى الإرشاد فيقول : "**إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ**" (المائدة :٢٩) ، يقول الزمخشري : "إن الإثم في هذه الحالة مقدر كأنه قال : إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطتُ يدي إليك" ([1]) ، ولكن الإرشاد لم يُجدِ نفعاً ، وكذلك التحذير لم يؤثر في نفسه وقد استشرى فيها الشر والحقد ، فزينت له نفسه قتل أخيه ، "**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" (المائدة : ٣٠) ، أي خسر الدنيا والآخرة .

ووقف القاتل عاجزاً أمام جثة أخيه لا يعرف ماذا يفعل بها ؛ فقد كان يرى الموت لأول مرة ، ولكن الله هداه برحمته ؛ فبعث غراباً يبحث في الأرض ليدفن غرابا ميّتاً ، وهنا رجع إلى نفسه وقال في حسرة : " **يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِين**" (المائدة : ٣١) وهو ما يسمى حواراً داخلياً ؛ إذ قالها في نفسه ندماً وحسرة .

وردت هذه القصة بأسلوب الحوار ، الذي أظهر الله فيه أقصى درجات الانفعال ، وصورها شاخصة أمام المتلقين ، من خلال الجمل الحوارية المتداولة بين الأخوين ؛ فلا يعكس الصورة البشعة للحسد بين الأخوين أكثر من قوله " **لأقتلنّك**" ؛ فهي تحوي نية الإقدام على القتل ، والإصرار عليه ، مدعماً بالقسم ، ونون التوكيد ، ويضيف ضمير

([1]) الكشاف ٢ : ٢٢٥ .

الخطاب قوةً في المعنى ؛ فهو يخاطبه ويتوعده بالقتل أمامه ، وهذا يعكس مقدار الشر الذي بداخله ، لدرجة أنه لا يستطيع إخفاءه ، أو مداراته .

وبالمقابل فإن الحوار يعكس أيضاً أقصى درجات التسامح والتقوى في الجانب الخيِّر من الإنسان ، في الجملة الشرطية "**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ**" إضافة إلى اللجوء إلى الإرشاد بأسلوب الإقناع العقلي ، ومخاطبة العاطفة : "**إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ**" ، وبلغت الآية الأخيرة في القصة الغاية في إظهار التحسر ، والاعتراف بالقصور والعجز في قوله : "**يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي**" .

ولا تتمثل القضية في كيف يواري سوأة أخيه ، إنما في قتله له ، والاعتداء على حياته لسبب تافه ، ولتمكن الشر والحسد في نفسه ، وهذا ما يرمي إليه الحوار ابتداءً ، لاستحلاص العبرة من القصة ، وتصوير بشاعة القتل .

- **حوار ذي القرنين حول يأجوج ومأجوج**

ذو القرنين : أحد الملوك ، آتاه الله الملك ، ومكنه في الأرض ، واختلفت الآراء والقصص حول قوته والأقوام التي مكنه الله منها ، ووردت فيه أخبار كثيرة عن اسمه ولقبه ([1]) ، وترى الباحثة الاكتفاء بما ورد في القرآن من اسمه ولقبه وصفاته ، دون تحديد للزمان أو المكان أو الاسم ، سوى الذي ورد في القرآن ، فقد سماه الله ذا القرنين ، ومن الثابت أن الله مكنه في الأرض ؛ فقد ورد في القرآن أن الله خيَّره في التصرف مع القوم الكافرين فقال : "**يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**" (الكهف : ٨٦) .

أما عن قصة القوم الذين استعانوا به ليخلصهم من يأجوج ومأجوج وظلمهم ، فقد قالوا له : "**يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**" (الكهف : ٩٤) ، وهما قبيلتان من بني آدم ، وردت أخبار

([1]) انظر مثلاً : الكشاف ٣ : ٦٠٩ . والجامع لأحكام القرآن ١٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

كثيرة عن عددهم وصفاتهم ([1]) ، وترى الباحثة أن معظمها من الإسرائيليات ، وذلك لكثرة الأخبار وتضاربها ، وتعدد الأسماء والأماكن ، ولم يذكر القرآن شيئاً من هذه الأخبار ، وكل ما سكت عنه القرآن فهو غير محتاج إليه ، ووروده في التفاسير يرجع إلى حد كبير كونه من الإسرائيليات ، حتى قيل إنهم من الجن ، وكانوا مفسدين في الأرض ، يقتلون ويظلمون ، فاستعان القوم بذي القرنين ليخلصهم منهم ، وفي قولهم : "**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا**" استدعاء منهم قبول ما يبذلونه ، مما يعينهم على ما طلبوا ، وهذا من أسلوب التأدب في السؤال ، أي عرضوا عليه أن يجمعوا له أموالاً ليقيم سداً يمنع خروجهم عليهم ، ولكن ذا القرنين اكتفى بما آتاه الله من المال والملك ، وقال : "**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**" (الكهف : ٩٥) أي ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم ؛ فلا حاجة لي به ، وفي جوابه هذا تعفف عن أموال الرعية ، وتفضُّل وتكرم منه ، وذلك امتنان منه لله الذي آتاه الملك ، ومكنه من مشارق الأرض ومغاربها ، ولكنه طلب منهم المساعدة بقوة الأبدان وعمل الأيدي .

وقد رأى بما آتاه الله من بصيرة وحكمة وقوة أن يجعل بينهم ردما ، والردم : الحاجز الحصين الموثق ، يقول ابن منظور: " وهو أكثر من السد ، لأن الردم ما جُعِل بعضه على بعض " ([2]) ، وهذا ما جعل ذا القرنين يعدل عما طلبوا من بناء السد ، إلى إقامة الردم ، واتفق الطرفان على العمل ، وقد وصف الله لنا خطوات البناء بالتفصيل بأسلوب الحوار ، فقال : " **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا** " (الكهف : ٩٦) " أي أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ، ثم جعل البناء من زبر الحديد ، حتى ملأها بين الجبلين ، ثم أفرغ عليها النحاس المذاب حتى يلتصق بالحديد ويشتد "([3]) وترى الباحثة أن في سياق الحوار أثناء عملية

([1]) انظر : المصدرين السابقين . الكشاف : ٦٠٩ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٧ .

([2]) لسان العرب : مادة ردم .

([3]) انظر : التسهيل ١ : ٥١٩ .

البناء ، ما يدل على أن ذا القرنين كان يباشر العمل بنفسه ، ويشرف عليه ، مستعينا برعيته ، وذلك من خلال استعمال أفعال الأمر "**انفُخُوا**" و "**آتُونِي**" وفعل المضارع "**أُفْرِغْ**" ، إضافة إلى سياق الوصف في : "**حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**" و "**حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**" فهو يدير العمل ويشارك فيه ، حتى صار بناءً متينا صلباً.

وعند الانتهاء من البناء ، حمد الله ، وأثنى عليه ، فقال : " **هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** " (الكهف : ٩٨) .

ورغم متانة السد وصلابته إلا أن الله يجعله دكاء ، أي مبسوطاً مُسَوّى بالأرض يوم القيامة ، وفي كلامه هذا دلالة على أنه رجل صالح مؤمن رحيم برعيته ، يستحضر اليوم الآخر في نفسه ، ويذكّر قومه به .

وردت قصة ذي القرنين في القرآن رداً على سؤال اليهود للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أوردها الله لما فيها من فوائد وعبر كثيرة .

ونلحظ في هذه الآيات تكرار الفعل "جعل" باختلاف معانيه والصيغ التي ورد فيها ، فقد ورد المضارع مسنداً إلى ضمير المتكلمين "نجعل" ، وإلى ضمير المخاطب "تجعل" ، في آية واحدة ، ولا بد من وجود اختلاف دقيق في المعنى بينهما ، ففي الصيغة الأولى "**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا**" جاء بمعنى نجري لك خراجاً ، وقال الفراء : " الخرج كالمصدر كأنه الجُعْل " ([1]) ، وكأن تقدير الجملة فهل نجعل لك جُعْلاً ، أما الفعل "تجعل" فجاء بمعنى تقيم ، وكذلك الفعل "أجعل" في الآية التالية ، ولكنهما اختلفا في الإسناد ، وورد الفعل جعل في الآيتين التاليتين بصيغة الماضي ، وبمعنًى مختلف : "**حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**" و "**جَعَلَهُ دَكَّاء**" أي صيَّره ، وقد أضفى ذلك إيقاعاً فيه لمسة بيانية ، فيما يُسمى ائتلاف المباني ، واختلاف المعاني .

وإذا تتبعنا سورة الكهف من بدايتها ، نلاحظ أن لهذا الفعل حضوراً بارزاً في آياتها ، فقد ورد في الآية الأولى : "**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**" ، وتكرر في ثناياها اثنتي عشرة مرة ، مع

([1]) معاني القرآن ٢ : ١٥٩ .

اختلاف في الصيغة والمعنى ، وهذا ما يشير إليه علماء اللسانيات الحديثة ، ويسمونه الوحدة الكلية للنص ، أو التماسك الدلالي للنص .

- **حوار أصحاب الجنة**

تمثل هذه المشاهد حوارات جرت بين مجموعة من الأخوة ، ورثوا عن أبيهم جنة غناء كثيرة الثمار ، وكان أبوهم قد جرى على أن يكون للفقراء والمساكين نصيب من غلال جنته ، وعندما مات تحركت في نفوس أبنائه غريزة الطمع ، فآلوا ألا ينال أيُّ مسكين نصيباً من الجنة " **إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ** " (القلم : ١٧ ، ١٨) ، أي حلفوا أن يقطعوا غلَّة جنتهم في الصباح الباكر، ولا يعلم مسكين بذلك ، وفي هذه الآية حوار وصفي إذ يخبرنا الله أنهم أقسموا ، أي قالوا :"والله لنقطعن غلَّتنا باكراً ، ولا نعطي المساكين شيئاً" ، وفي قسمهم دلالة الإصرار على المعصية ، **وَلَا يَسْتَثْنُونَ** " أي ولا يقولون إن شاء الله ، وقد سُمِّي استثناءً ، وإنما هو شرط ؛ وذلك لأنه يؤدي مُؤَدى الاستثناء" [1] ، وقال القرطبي : " أي ولا يستثنون حق المساكين" [2] ، والحق أن هذا المشهد الحواري ، يمثل حواراً من جهة واحدة ، فلم يقع الحوار بين طرفين متقابلين ، فهم في البداية ذوو توجه واحد ، وهو منع المساكين أن يقربوا جنتهم ، ويفيدوا منها ، فعاقبهم الله بإتلاف ثمارها ، " **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** " (القلم :١٩- ٢٠) ، والطائف الأمر الذي يأتي بالليل ، أي أهلكها الله ليلاً ، وهم نائمون ، فأصبحت كالليل في السواد ، وإنما جاء إتلافها ليلاً استباقاً لما أضمروا من قطع غلتهم في الصباح الباكر ، " **فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ** " (القلم : ٢١) أي نادى بعضهم بعضاً حين أصبحوا، وهو حوار وصفي فيه دلالة الحض والاستعجال والمشاركة ؛ فهم جميعاً عازمون على الأمر ، ينادي بعضهم بعضاً ، داعين إلى التبكير في الذهاب " **أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ** " (القلم : ٢٢) ويرى الزمخشري أنهم قالوا :

---

(١) الكشاف ٦ : ١٨٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١ : ١٦٣ .

"**اغْـدُوا عَلَـى حَـرْثِكُمْ**" ولم يقولـوا إلى حـرثكم ، وذلـك لأن الغُـدُوَّ كـان إليـه ليصـرموه ويقطعوه ، فكان غُدُوّاً عليه ([1]) ، وعزموا على الأمر ، وانطلقوا لتنفيذه ، يكلم بعضـهم بعضاً في السر "**فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ، أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ**" (القلم : ٢٣ - ٢٤) فلما وصلوها ، ورأوا ما حل بها أنكروها ، وشكُّوا فيها ، هل هي جنتهم أم لا ، فقالوا : "**إِنَّا لَضَالُّونَ**" (القلم : ٢٦) .

وهنا تُفتح صفحة جديدة من صفحات الحوار ، حيث جعل بعضهم يلـوم الآخـر في آثار هذه الفِعْلة ، وغلب على حوارهم حسن النية ، ونعتوا أنفسهم بما يقتضيه الاعـتراف بالذنب ، فقال من علم أنها جنتهم ، وأنهم لم يضـلوا الطريـق : "**بَـلْ نَحْـنُ مَحْرُومُـونَ**" (القلم : ٢٧) ، و "بل" فيها إبطال ظنهم أنهم ضلوا ، أي حرمنا الله خير جنتنا بفعلتنـا ، وكان أوسطهم قد وعظهم حين عزموا على فعلتهم ، فعصوه ، فقال لهم : "**أَلَمْ أَقُل لَّكُـمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**" (القلم : ٢٨) أي أنه نبههم ووبخهم على تركهم ما حضهم عليه ، فقـد كان أرجحهم عقلاً ([2]) ، فاعترفوا بذنبهم في ترك المعروف وقالوا : "**سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّـا ظَالِمِينَ**" (القلم : ٢٩) ، وأقروا بالمعصية ، ونزهوا الله من أن يكون ظالمـا فيمـا فعـل ، وتحسروا على ما فاتهم ، "**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ، قَـالُوا يَـا وَيْلَنَـا إِنَّـا كُنَّـا طَاغِينَ**" (القلم : ٣٠ - ٣١) وثابوا إلى رشدهم ، وعزوا ما حصل إلى تجـاوزهم حـدود الله ، وتفريطهم في حقه ، ورجوا الله أن يبدلهم خيراً منها "**عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**" (القلم : ٣٢) ، أي اعترفوا بأنهم ظلموا ، وترجوا انتظار الفرج في أن يبدلهم خيراً من تلك الجنة ، وترى الباحثة أن في لفظة "يبدلنا" دلالة علـى هـلاك الجنـة كاملةً ، وأنه لا يمكن إصلاحها .

([1]) انظر : الكشاف ٦ : ١٨٦ .

([2]) انظر : البحر المحيط ٨ : ٣٠٧ .

قص الله علينا هذه القصة مستخدماً أسلوب الحوار ، ويخدم هذا الحوار الغرض الديني الذي ذكرت من أجله ، إذ إنها احتوت مجموعة من التوجيهات ، كضرورة الإنفاق ، وتجنب البخل ، وأهمية التسبيح ، والاعتراف بالذنب ، والرجوع إلى الله .

وبعد ، فهذه نماذج من حوارات القرآن الكريم ، تناولت أطرافاً ومضامين مختلفة ، واتخذ القرآن هذه الحوارات أداةً لتبليغ الدعوة ، وإثبات قضية الوحي والإخبار عن الغيب ، واحتوت الحوارات أساليب عميقة التأثير ، عُرضت بأسلوب مُشوِّق يُقرِّب المعاني والأغراض التي قصدها الله تعالى .

وإذا تدبرنا القرآن وجدنا كثيراً منها ، وما هذه الحوارات التي أوردتها الباحثة إلا أمثلة لما تعددت وكثرت ، تحكي أحداثاً وقصصاً لأنبياء ورسل ، وملوك منهم من هو صالح مؤمن كذي القرنين وملكة سبأ ، ومنهم من هو كافر ظالم كفرعون وجالوت والنمرود . وقد وردت في القرآن حوارات أخرى لنماذج بشرية خارج نطاق النبوَّة ، كحوارات أهل الكهف ، وأصحاب الجنة التي أوردتها الباحثة في هذه الدراسة ، وحوارات السيدة مريم مع المَلَك ومع قومها ، وغيرها الكثير من الحوارات ، وكلُّها تجسد الأحداث وتصف الانفعالات ، وتعكس دواخل النفوس ، وتصور الواقع ، وهي بذلك تعبر عن النفس الإنسانية ، وتؤثر في المتلقي ؛ تهُزُّ مشاعره ، وتثير وجدانه ، وتخاطب عقله في الوقت ذاته ، لما فيها من العبرة والحكمة .

وكما ذكر الله حوارات موغلة في القِدَم ما كان أحد يعلمها ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم ، فقد ذكر أيضاً حوارات غيبية لم تحدث بعد ، وهي حوارات مشاهد القيامة ، وقد تنوعت أطرافها ومضامينها وأساليبها ، بتنوع الغاية والغرض الديني المقصود منها ، وهذا ما سنتناوله في الفصلين القادمين بإذن الله تعالى .

الفصل الثاني

دور الحوار في

ترسيخ مضامين القيامة

وردت آيات الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم في عدة سور ، وفي ما يلي قائمة بأسماء السور والآيات التي وردت فيها :

السورة	أرقام الآيات
البقرة	١٦٦ - ١٦٧
آل عمران	١٠٦ - ١٠٧
النساء	٩٧
المائدة	١١٦
الأنعام	٢٣ – ٢٤ ٢٧ ، ٣١ ٩٣ – ٩٤ ١٢٨ - ١٢٩
الأعراف	٣٧ ، ٥٢
يونس	٢٨ – ٢٩ ٥٤ ٩٠ – ٩٢
هود	١٨ - ١٩
الرعد	٢٣ – ٢٤
إبراهيم	٢١ ، ٣٠

	٤٣ - - ٤٤
النحل	٢٧ ، ٣٥ ٨٦ – ٨٧
الإسراء	١٣ - ١٤
الكهف	٢٩ ٤٧ ، ٤٩ ٥٢ - ٥٣
طه	١٠٢ ، ١٠٤
الانبياء	٩٧ - ١٠٣
المؤمنون	٦٤ ، ٦٧ ٩٩ ، ١١٥
الفرقان	١٢ ، ١٩ ٢٥ ، ٢٩
الشعراء	٩٠ ، ١٠٤
النمل	٨٣ ، ٨٥
القصص	٦٢ – ٦٦ ٧٤ - ٧٥
العنكبوت	٥٥
الروم	٥٥ ، ٥٧
السجدة	١٢ ، ٢٠
الأحزاب	٦٥ ، ٦٨
سبأ	٣١ ، ٤٢
فاطر	٣٣ ، ٣٧

يس	٢٦ – ٢٧ ٥١ ، ٥٤ ٥٨ ٦٣ ، ٦٥
الصافات	١٩ ، ٣٣ ٥٠ ، ٦١
ص	٥٦ ، ٦٤
الزمر	٥٦ ، ٥٩ ٧١ ، ٧٤
غافر	١٠ ، ١٢ ٤٧ ، ٥٠ ٧١ – ٧٦
فصلت	١٩ ، ٢٣ ٢٩ ٤٧ – ٤٨
الزخرف	٦٦ ، ٧٨
الدخان	٤٧ ، ٥١
الجاثية	٢٨ ، ٣٥
الأحقاف	٢٠ ٣٤
ق	٢٠ ، ٣٥
الطور	١٤ ١٧ ، ١٩

	٢٥ ، ٢٨
القمر	٧ – ٨ ٤٤ ، ٤٩
الحديد	١٢ ، ١٥
المجادلة	١٨
المنافقون	١٠ – ١١
التحريم	٨
الملك	٧ ، ١٢
القلم	٤٢
الحاقة	١٨ ، ٣٤
المدثر	٣٩ ، ٤٧
القيامة	١٠
المرسلات	٣٨ ، ٥٠
النبأ	٤٠
المطففين	١٣ ، ١٧
الفجر	٢٥ ، ٣٠
العلق	١٧ – ١٨
الزلزلة	٣

أولاً : أهمية القيامة في الوجود الإنساني

فكرة القيامة والبعث وما يتصل بها من ثواب وعقاب فكرة حية في الوجدان الإنساني وتكمن في فكرة الصراع بين الخير والشر ، ولما كان الشر غالباً والباطل مستفحلاً ، وكان الإنسان بضعفه غير قادر على إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، فكان الإيمان باليوم الآخر فطرياً منسجماً مع رغبة الإنسان في انتصار الفضيلة ، وتحقيق االعدالة الإنسانية ؛ يُثابُ المحسنون على إحسانهم ، ويُعاقبُ المسيئون على إساءتهم .

وفي الإسلام تقوم فلسفة خلق الإنسان على مبدأ الخلافة في الأرض ، والخلافة تعني إعمار الأرض والارتقاء في الحياة ، وتسخير طاقاتها ، ومكافحة الشر والفساد والظلم ، والوجود الإنساني ليس مقصوراً على هذه الحياة المشهودة على الأرض ، وإنما يمتد إلى عالم آخر غيبي لا يعلم حقيقته إلا الله ، ولا نعلم نحن عنه إلا ما أخبرنا الله به ، عالم يبدأ في لحظة الموت ، وينتهي في الدار الآخرة .

والإنسان في التصور الإسلامي يمتد وجوده في هذه الأبعاد من الزمان بين العالم المشهود الذي نعيشه على الأرض ، وما فيه من تكليف ومكابدة وصراع بين الخير والشر، إلى ذلك العالم الغيبي (الحياة الآخرة) .

وقد جعل الله الإيمان باليوم الآخر ركناً من أركان العقيدة ، وقرن بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر ، فقال : " **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** " (البقرة : ١٧٧) .

وأكد سبحانه أن هذا اليوم واقع لا محالة ، ولا شك فيه ، ويتم فيه جزاء كل نفس بما قدمت ، "**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** "(آل عمران : ٢٥) .

ومما لا شك فيه أن الإيمان بالحياة الآخرة يرتقي بالإنسان إلى آفاق واسعة من تصور وجوده وخلافته على الأرض ، ينشأ عنها أخلاق سامية ، واهتمامات رفيعة ، وسلوك قويم ، يقول أحمد فائق في آثار الإيمان باليوم الآخر على النفس : " واستعدت النفس

للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح الذي تعلم أنه من أمر الله ، وأنه مناط العوض والجزاء ، وصلح خلق الفرد ، واستقام سلوكه متى استيقن من الآخرة " ([1])

والإيمان بالآخرة يُفضي إلى الشعور بالأمن والطمأنينة ، ويُبعد عن القلق والسخط والقنوط ، إذ إن الحساب النهائي ليس في هذه الأرض ، بل هو يوم القيامة ، حيث العدالة المطلقة ، فلا ندم على الخير والإحسان إذا لم يتحقق جزاؤه في الدنيا بمقاييس الناس ، فسوف يُوَفَّى الأجر بميزان الله ، والمؤمن بالآخرة يعمل وهو ينظر لأعماله بمقاييس مختلفة ليست كمقاييس العباد ، يعمل وهو موقن أنه سيرجع إلى الله فيوفيه حسابه بالعدل " **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** " (المؤمنون : ١١٥)

فالإيمان بالآخرة ينسجم مع الفطرة البشرية ، وينسجم مع العقل ، وهو ما يقتضيه الشرع .

من أجل ذلك ، لا تستقيم الحياة دون يقين في الآخرة ، ومن أجل هذا كان التأكيد في القرآن الكريم مُركزاً على حقيقة الآخرة .

مما سبق نستطيع تسجيل الملاحظات الآتية :

- فكرة الإيمان باليوم الآخر فكرة حية وعميقة في الوجود البشري ، تنسجم وفطرته ، وتشكل حداً فاصلاً للصراع بين الخير والشر .
- اللجوء إلى قوة عظمى لتحقيق العدالة الإنسانية ، فيُثاب المحسنون على إحسانهم ، ويُعاقب المسيئون على إساءتهم .
- حياة الإنسان في الدنيا هي طريقه إلى الآخرة ، وهذا يقود إلى ضرورة إعمار الدارين الدنيا والآخرة .
- اليوم الآخر من الأمور الغيبية ، التي يُقاس بها عمق الإيمان بالله .

ولكن الله سبحانه وتعالى بمعرفته النفس البشرية ، وما فيها من فضول ، ورغبة في تحسس ما في هذا اليوم من إجراءات ، تبدأ بالبعث وما يليه من حشر وحساب وجزاء فقد أورد

([1]) اليوم الآخر في ظلال القرآن ٥ .

تفاصيل هذا اليوم ، في مشاهد عديدة ، توزعت في سور القرآن الكريم ، حتى غدت حقيقة واضحة ، تعرض في صور شتى وسياقات مختلفة .

ثانياً : دور الحوار في ترسيخ مضامين القيامة

ركزت حوارات القيامة في القرآن على أربعة مضامين أساسية ، هي : توحيد الله ونفي الشركاء ، وإقامة الحجة على الكافرين ، ودفعهم للاعتراف باستحقاقهم العذاب ، وتخلي المتبوعين عن أتباعهم ، وتمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا ، وستعرض الباحثة في هذا الفصل دور الحوار في تثبيت هذه المضامين ، بطرق وأساليب مختلفة ، من تعدد أطراف الحوار واختلاف السياقات ، وتكرار الأسئلة ، واختلاف أساليب الإجابة .

١ . وحدانية الله ونفي الشركاء

شغلت قضية التوحيد حيزاً كبيراً في حوارات يوم القيامة ، وأنكر الله على المشركين اتخاذ معبودات من دونه ، وهو بذلك يصور التشعب الديني ، وتعدد العبادات من دون الله ، وتنوع أشكالها وصورها من أصنام وأوثان ، وأشخاص ، وحجارة وشياطين وملائكة وجن ، إضافة لمن كان يدين بالتوراة ، والإنجيل ، وما أحدثوا فيهما من تحريفات بعد الأنبياء ، وقضية التوحيد هي القضية الأولى من قضايا العقيدة الإسلامية التي أكدها القرآن الكريم ، وأطلق الحكم الفاصل فيها ؛ فهو الإله الواحد الأحد الذي لا إله غيره في السماء والأرض " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** " (الإخلاص : ١ ، ٤) .

وتكرر سؤال المشركين عن الشركاء في مشاهد القيامة بصور وأساليب مختلفة ، وكذلك اختلفت صور الإجابة ، وتعددت الأطراف التي وردت الإجابة على ألسنتها، ولا شك أن السؤال عن الشركاء استفهام توبيخ وتقريع وإهانة ، وهو في الحقيقة ضربٌ من العقاب ؛ فالشركاء لا يملكون نفع المشركين ، ولا الانتصار لأنفسهم .

تبدأ حوارات هذه القضية منذ لحظة الموت " **حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْـنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَـانُواْ كَـافِرِينَ** " (الأعراف : ٣٧) .

ويوجـه الله سـؤالاً للملائكـة عـن عبـادة المشـركين إيـاهم ، ويسـألهم توبيخـاً وتقريعـاً للمشركين " **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًـا ثُـمَّ يَقُـولُ لِلْمَلَائِكَـةِ أَهَؤُلَـاء إِيَّـاكُمْ كَـانُوا يَعْبُـدُونَ** " (سبأ : ٤٠) فجاء جواب الملائكة مطابقاً للغاية من السـؤال ، بتنزيـه الله عـن الشـرك ، وإثبات ولائهم لله تعالى ، وتأكيد فساد عقيدة المشركين باتبـاعهم غوايـة الشـياطين " **قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَـلْ كَـانُوا يَعْبُـدُونَ الْجِـنَّ أَكْثَـرُهُم بِهِـم مُّؤْمِنُـونَ** " (سبأ : ٤١) .

ويسأل الله عيسى عليه السلام عن انحراف أتباعه من بعده ، وقولهم بربوبية عيسـى عليـه السلام ، وأنه ابن الله " **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ** " (المائدة : ١١٦) ، فأجاب بالتسبيح تنزيهاً لله ، وتعظيمـه أن يكـون له شريك " **قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** " (المائدة : ١١٦) ، ثم أكد ذلك بإحالة الأمر إلى علم الله الواسع ، وقابله بعلمـه المغمـور " **إِن كُنـتُ قُلْتُـهُ فَقَـدْ عَلِمْتَـهُ تَعْلَـمُ مَـا فِـي نَفْسِـي وَلاَ أَعْلَـمُ مَـا فِـي نَفْسِـكَ إِنَّـكَ أَنـتَ عَـلاَّمُ الْغُيُـوبِ** " (المائدة : ١١٦) .

ويسأل الله المشركين عن الشركاء ساعة الحشر ، توبيخاً وتقريعـاً وإقامـةً للحجـة علـيهم وإظهاراً لفساد عقيدتهم ، يقول تعالى : " **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّـذِينَ أَشْـرَكُواْ أَيْـنَ شُـرَكَآؤُكُمُ الَّـذِينَ كُنـتُمْ تَزْعُمُـونَ** " (الأنعـام : ٢٢) ، والإجابـة هنـا كانـت مـن المشركين ، فقد نفوا شركهم ، وأقسموا على ذلك مع علمهم بكذبهم ، ونسوا أنهـم بـين يـدي الله تعـالى " **ثُـمَّ لَـمْ تَكُـن فِتْنَـتُهُمْ إِلاَّ أَن قَـالُواْ وَاللّـهِ رَبِّنَـا مَـا كُنَّـا مُشْـرِكِينَ** " (الأنعام : ٢٣) .

ويصور الله المشركين مجردين من كل ما يملكون في الحياة الدنيا من جاه ومـال وولـد "
وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ " (الأنعام : ٩٤) ، وكذلك الشـركاء غـائبون عـنهم ، وفي هـذا إقـرار حقيقـة واقعة ، وهي أن متاع الدنيا زائل ، وكذلك ما عبدوهم من دون الله زائل أيضاً ، ولا نجد في هذا المشهد جواباً من أحد ؛ فالظـاهر أن ظـلال الـذل والهـوان غشـيت المشـركين بمـا يتناسب مـع مجيـئهم فـرادى لا يملكـون شـيئاً ؛ فصـمتوا ولم يجيبـوا ، ولا نجـد حضـوراً للشركاء ، فقد غيَّبهم الله تعالى ليتناسب ذلك مع قوله :"**وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ** " .

وفي قوله : " **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ** " (يـونس : ٢٨) ، الخطـاب مُوَجَّـه لهـؤلاء وهؤلاء "**مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ**" ، ورغم أنهم متقاربون في المكان ملتزمون فيـه ، إلا أن الله قطع ما بينهم من صلات النفع والشفاعة ، والرد في هذا المشهد مـن الشـركاء مُوَجَّـه للمشركين ، ينكرون فيه عبوديتهم لهم ، ويتبرَّؤون منهم ، " **وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ** " .

ويطلب الله من المشركين أن ينادوا شركاءهم ، " **وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا** "(الكهف : ٥٢) . وبدافع من الاحتيال أو الرغبة في النجاة ، يتوجه المشركون إلى شـركاء الله في زعمهـم ، ويـدعونهم ولكـنهم يتخلون عنهم ولا يستجيبون لهم ، وفي صمتهم دلالـة التخلـي عـنهم، وعـدم نصـرتهم لهم .

ويذل الله المشركين ، ويسألهم السؤال نفسه تقريعاً وتوبيخاً ، أيـن شـركائي الـذين كنـتم تخاصمون المؤمنين في شأنهم ؟ " **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ** "

(النحل : ٢٧) ، وجعل الإجابة هنا على ألسنة الأنبياء والعلماء ، تثبيتاً لخزي المشركين وهوانهم .

وينادي الله المشركين ، ويسألهم عن الشركاء " **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ** " (القصص : ٦٢ ، ٦٣) ، والجواب في هذا الموضع من الذين حق عليهم القول ، وهم الشركاء ، والمقصود بقوله حق عليهم القول ، أي وجب عليهم مقتضاه وثبت ([1]) ، وهو قوله: " **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** " (هود : ١١٩) ، فيقولون : "**رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ**" هؤلاء الذين أضللناهم بالوسوسة كما ضللنا نحن باختيارنا ، تبرَّأنا إليك منهم ومن شركهم ومعاصيهم ، لأنهم إنما كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم ، ميلاً منهم للباطل ، ومقتاً للحق ، لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ، ويأمر الله المشركين أن يدعوا شركاءهم ، زيادة في تبكيتهم ، بعد سماعهم ما قاله الشركاء ، فيدعونهم فلا يستجيبون لهم ، ورغم أنهم سمعوا ما قاله الشركاء عنهم ، إلا أنهم دعوهم ، وهو دعاء اليائس القانط ، فهم يعرفون ردهم ، ويعرفون أنهم لن يستجيبوا لهم ، وعند دعائهم لم يجدوا جواباً منهم ، وكان جوابهم أن رأوا العذاب ، " **وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ** " (القصص : ٦٤) . فالعذاب هو مصير المشركين الذين يتخذون آلهة من دون الله في الدنيا ، فلا تنفعهم يوم القيامة ، وليس للمشركين إلا عذاب النار ، يقول الله في موضع آخر : " **الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** " (ق : ٢٦) .

ويقر المشركون بربوبية الله يوم القيامة ، وينفون نفياً قاطعاً أن يكون له شريك " **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ** " (فصلت : ٤٧) ، والجديد في هذه

([1]) الكشاف ٤ : ٥١٨ .

الآية أسلوب الإجابة وإعلانها ، ودلالة الجهر بما قالوا ، وهو نفي الشرك بالله والإعلان بإقرارهم بربوبيته ، والتأكيد عليه ، طلباً للنجاة .

نلاحظ من خلال عرض هذه المشاهد ، وتحليل ما فيها من حوارات ، أنها تُصَوِّرُ الأحوال النفسية التي يعيشها المشركون في هذه المواقف ، وما يلقَون من تبكيت وتقريع وشماتة ، وتعكس ما يشعرون به من الخيبة والحسرة والهول والفزع ؛ فتارة يقسمون على عدم شركهم ، ويعلنون ذلك اعترافاً أمام الأشهاد ، وتارة يلقون اللوم على الشركاء ، وأخرى يحارون فلا يردون جواباً ، ويشعرون بالخزي فيصمتون ، أما الشركاء فالظاهر من كلامهم أنهم يناصبون المشركين العداء ، إضافة إلى تخليهم عنهم ، وإلقاء اللوم عليهم ، أما الملائكة وعيسى عليه السلام فاعتمدوا أسلوب التقديس والتنزيه لله أن يكون له شريك ، وإحالة الأمر لعلمه ، والتبرؤ من العابدين .

وتنسجم هذه الحوارات مع ما جاء في القرآن الكريم من إثبات ألوهية الله تعالى ، ووحدانيته وتفرده في الكون ، فقد أولى الله هذه القضية عناية كبيرة في مواضع وسياقات عديدة في كتابه العزيز ، مخاطباً العقل والمنطق تارة : " **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** " (الأنبياء : ٢٢) ، وإقامة الدليل والبرهان على طبيعة النفس البشرية تارة أخرى " **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** " (المؤمنون : ٩١) ، وكثير من الآيات تثبت وحدانيته بأساليب وطرق مختلفة .

وتنسجم الوحدانية مع الفطرة الإنسانية في رغبتها في التوجه إلى إله واحد أحد ، قادر على التصرف في الأمور ؛ فالإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً مدبراً قديراً ، يوصل إلى عباده النفع ، ويدفع عنهم الضر .

٢ . إقامة الحجة على الكافرين والاعتراف باستحقاقهم العذاب

أرسل الله تعالى الرسل للناس مبشرين ومنذرين ، وأنزل الكتب السماوية ، وختمها بالقرآن الكريم ، وجعل في كل زمان ومكان علماء أفاضل أجلاء قائمين على دراسة

القرآن ، واستنباط أحكامه ، إضافة إلى ما في آفاق الكون ، وفي الأنفس من آيات تدل على ألوهية الله وتفرده ، وأحقيته بالعبادة ، وكل هذه الأمور حجج على الناس للقيام بعبادته ، والالتزام بطاعته ، فلا حجة لأحد من الناس على الله بعد ذلك بالجهل والغفلة ممن جاءتهم الرسل ، وتُليت عليهم الآيات .

وقد أكدت حوارات مشاهد القيامة هذا المبدأ ، وتكرر فيها على عدة وجوه ، وتعددت فيه أطراف الحوار وأساليبه ، تأكيداً له ، وإقامةً للحجة على الكافرين ، ودفعهم للاعتراف بتقصيرهم ، واستحقاقهم العذاب . فيسأل الله الكافرين مقيماً عليهم الحجة : " **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** " (القصص : ٦٥) ، فتصيبهم حالة من الذهول ، ولا يجدون جواباً " **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ** " (القصص : ٦٦) .

وفي إجابة عيسى عليه السلام يوم القيامة تأكيد على تبليغه الرسالة بصدق وأمانه ، ودعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له " **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** " (المائدة : ١١٧) ، وكان السؤال على مسمع من أمته ليقيم الحجة عليهم فيعترفون بانحرافهم عن طريق الحق .

ويسأل الله أهل النار مقرعاً إياهم بسبب تقصيرهم وتجاهل آياته : " **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ** " (المؤمنون : ١٠٥) ، فيجيبون مذعنين ، مقرِّين بأن ما أصابهم كان بسبب غفلتهم وضلالهم ، وانشغالهم بملذاتهم وشهواتهم عن آيات الله : " **رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** " (المؤمنون : ١٠٦) .

ويسألهم عن تكذيبهم بآياته ، من أنبياء ورسل ، وكتب سماوية ، ودلائل خلقه في أنفسهم ، وفيما حولهم من بدائع الكون : " **أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** " (النمل : ٨٤) ، فلا يجيبون إقراراً بغفلتهم وضلالهم .

ويكرر السؤال في مشهد آخر : " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " (فاطر : ٣٧) .

وينهى الله أهل النار عن الاختصام ، لعدم الجدوى منه ، ويحتج علـيهم بإرسـاله الرسـل وتقديم الوعيد: " **قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ** " (ق : ٢٨) .

وتسأل ملائكة العذاب الكافرين عن الرسل : " **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَـأَلَهُمْ خَزَنَتُهَـا أَلَـمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** " (**الملـك : ٨**) ، فيجيبـون بـالإقرار والاعـتراف بإنكـارهم النـذر ، بسـبب ضلالهم الكبير : " **قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّـا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ** " (الملك : ٩) ، وعـزوا ذلـك إلى عـدم التبصـر ، وهـو اعـتراف ضـمني بتقصيرهم ، واستحقاقهم العذاب : " **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّـا فِـي أَصْـحَابِ السَّعِيرِ** " (**الملك : ١٠**) .

وتسأل الملائكة أهل النار عن الرسل والآيات في مشهد آخر : " **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَـرُوا إِلَـى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَـا أَلَـمْ يَـأْتِكُمْ رُسُـلٌ مِّـنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَـالُوا بَلَـى وَلَكِـنْ حَقَّـتْ كَلِمَـةُ الْعَذَابِ عَلَـى الْكَـافِرِينَ** " (الزمـر : ٧١) ، فيجيبـون بالإيجـاب ، والإقـرار باسـتحقاق العذاب ، وهي المرة الأولى التي يعترفون فيها بالكفر واستحقاقهم العذاب صراحة ، دون اللجوء إلى الاعتذار ، أو التذرع بالأسباب ، أو الصمت .

أما المؤمنون فيحمدون الله أن هداهم للحق ، فآمنوا بالرسل ، وصدقوا بالآيات ، فكانت النتيجة دخولهم الجنة خالدين فيها : " **وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَـدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُـمُ الْجَنَّـةُ أُورِثْتُمُوهَـا بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** " (الأعراف : ٤٣) .

وتنسجم هذه الحوارات مع ما جاء في القرآن الكريم في غير مشاهد القيامة ، فقـد أكـد الله في غير موضع من القرآن هذا المبدأ يقول : " **تَبَـارَكَ الَّـذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَـى عَبْـدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** " (الفرقان : ١) ، ويقول في موضع آخر : " **وَهَذَا كِتَـابٌ مُّصَـدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ** " (الأحقاف : ١٢).

وأمرنا الله بتدبر آيات القرآن الكريم والتفكر فيها فقال : " **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** " (ص : ٢٩) . وأمر بالتوجه إلى العلماء من أهل التقوى والصلاح ، للاستئناس برأيهم : " **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** " (النحل : ٤٣) ، وذلك ليكون الرسل حجة على الناس يوم القيامة ؛ فلا يُقبَل للكافرين عذر بالجهل ، وقد أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وبيّن الآيات ، وأبان المنهج ، ويسر العلماء ، وذلك حتى لا يحتج أحد يوم القيامة بالجهل : " **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى** " (طه : ١٣٤) ، فلا يوقع الله العذاب على الكافرين حتى يقيم الحجة عليهم ، وهذا يتناسب مع العدل الذي تتصف به الذات الإلهية ، يقول تعالى : " **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** " (الإسراء : ١٥) .

٣ . تخلي المتبوعين عن الأتباع

مسألة الصراع بين الحق والباطل قديمة متأصلة منذ بداية الخلق ، كما تبين من قصة خلق آدم عليه السلام ، وقد وضح الله هذا الصراع في قوله : " **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** " (طه : ١١٧) ، فالعدو هو الشيطان وذريته وهم يتزعمون الباطل ، ويدعون له ، وهم لا يفتؤون يكيدون للإنسان ويترصدون له بالإغواء والتزيين ، ليضلوه عن طريق الهدى والحق ، ولا يقوم الشيطان وذريته وحدهم بهذه المهمة ، بل ينضم إليهم مجموعة من أتباعهم من الجن والإنس يساعدونهم في الإغواء ، وهم مختلفون في الغاية والهدف ، فالشيطان يدعو للضلال تحقيقاً للعهد الذي اتخذه أمام الله منذ بداية الخلق " **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** " (الأعراف : ١٦، ١٧) ، أما أتباعه من الإنس فيحرصون على أن يتبعهم السواد الأعظم من الناس ، ويدوروا في فلكهم بلا رأي أو إرادة ، وهم بذلك أي المتبوعون يحققون من خلال أتباعهم مكاسبهم الدنيوية ، ومصالحهم الخاصة ، ويحرصون

على إبعاد أتباعهم عن طريق الحق ، لأن هذا يتعارض مع هذه المصالح ، وهذا يجعل الإنسان في موضع الاختيار بين أن ينقاد وراء الباطل دون إرادة وتبصر ، أو أن يتبع الإيمان ويسلك طريق الهدى .

ويوم القيامة يتخلى المتبوعون عن أتباعهم ويناصبونهم العداء ، وتنقلب مودتهم جفاءً ، ويتحول تقاربهم الذي كان في الدنيا ، إلى كراهية وتباعد .

وقد ركزت حوارات مشاهد القيامة في القرآن على هذه القضية ، لما للتبعية من خطر على المجتمعات ، ولما لها من آثار سلبية تؤدي إلى انتشار الظلم ، وتفشي الفساد ، فوضحت الحوارات علاقة المصاحبة بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا ، وبينت انقلابها وتحولها يوم القيامة إلى تلاعن وتشاتم ، وأشارت إلى صفات كل من الأتباع والمتبوعين ، وأقرت المصير المشترك لهم ، وهو الخلود في النار .

وقد جاءت الحوارات بين الأتباع والمتبوعين بأساليب وصور عديدة ، تؤكد علاقة العداوة بين الأتباع والمتبوعين وترسخها ، ففي أحد المشاهد تصوير لموقف الشيطان وهو يتبرأ من أتباعه ، في الخطبة التي ألقاها على أهل النار فيقول : " **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** " (إبراهيم :٢٢) . فهو يتبرأ من أتباعه ، وينفي إغواءه وتضليله لهم بقدرة منه على ذلك ، وإنما كان ذلك بإرادتهم واختيارهم ، ويؤكد هذه المعنى قوله تعالى في موضع آخر : " **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** " (ق : ٢٧) ، والقرين هو الشيطان [1] بدليل قوله تعالى : " **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** " (الزخرف : ٣٦) فيتبرأ الشيطان من إغوائه الكافر ، ويعزو ذلك إلى الضلال البعيد الذي كان عليه هذا الكافر ، وفيه إعلام من الله لعباده في الدنيا ، أن الشيطان

([1]) الكشاف ٥ : ٥٩٩ .

سيتبرأ من أعوانه وأتباعه يوم القيامة ، حتى يحذروا اتّباعه ، ويحصنوا أنفسهم من إغوائه .

وبالمقابل فإن القرآن يعرض مشهداً حوارياً متكاملاً يبين فيه صورة المؤمن الصالح الذي لا يؤثر فيه إغواء الشيطان ، من شياطين الجن أو الإنس ، وذلك بقصد المقابلة بين حال المؤمن وحال الكافر يوم القيامة ، فيقول : " **قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ ، قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** " (الصافات : ٥١ – ٥٧) ، وهي دعوة إلى الثبات على الحق ، وعدم اتباع الهوى ، ومن يزينون له من شياطين الإنس والجن .

أما عن علاقة الأتباع والمتبوعين من الإنس فتصور الحوارات مدى التباعد والجفاء بينهم ، وتقطع الصلات ، والتلاعن والتشاتم ، فلا قدرة على تقديم النفع أو الشفاعة من المتبوعين ، ولا أمل لذلك لدى الأتباع .

ففي بيان علاقة العداء والكراهية بينهم ، يقول الله على لسان المتبوعين : " **هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ** " (ص : ٥٩) ، يشتم المتبوعون الأتباع فيردون عليهم الشتيمة ، ويحملونهم مسؤولية ما هم فيه من العذاب : " **قالوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ** " (ص : ٦٠) ، ولم يكتفِ الأتباع برد الشتيمة على رؤسائهم ، وإلقاء اللوم عليهم ، وجعلهم السبب فيما هم فيه من العذاب وإنما دعوا الله أن يزيدهم عذاباً مُضاعفاً ، " **قالوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ** " (ص : ٦١) .

وتتكرر صورة الملاعنة والكراهية من خلال ما يدور بينهم من حوارات ، ففي مشهد آخر يصف دخولهم النار على أفواج من الأتباع والمتبوعين " **قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ**

النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُـونَ " (الأعـراف ٣٨) ، فهـم يتلاعنـون ويتبـادلون الشتم ، ويسألون الله العذاب مضاعفاً للمتبوعين ، فيجيبهم الله أن لكل منهم ضعفاً مـن العذاب ، ولكنكم لا تعلمون مقـادير هـذا العـذاب وصـوره ، ولعـل المقصـود هنـا مـا يتحصل على الرؤساء من العذاب النفسـي والمعنـوي ، فالأتبـاع والمتبوعـون معـاً في دار العذاب ، ولكنهم يتفاوتون في مقداره ، فالكافرون من ضعفاء الناس وفقرائهم ، يختلفون عن الزعماء والرؤساء والأسياد في أقوامهم ، فلا تشعر الفئة الأولى بما تقاسيه الثانية مـن عذاب النفس وقهر الذل ، بل يظنون أن عقوبتهما واحدة ، وكذلك الأتبـاع حـين يـرون رؤساءهم بهذه الذلة والمهانة ، ويعرفون أنهم كانوا علـى الباطـل ، وأنـه كـان بالإمكـان مخالفتهم ، وعدم اتّباعهم ، فيتحصَّل عليهم من الحسرة والتندم ما يضاعف عذابهم .

ويتخلى المتبوعون عن الأتباع ، ويحملونهم مسؤولية ضلالهم ، وأنهم اتبعوهم بإرادتهم ، فهم لا يفضلونهم بشيء : " **وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَـا كَـانَ لَكُـمْ عَلَيْنَـا مِـن فَضْـلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** " (الأعراف : ٣٩) .

ويتبرأ المتبوعون من إضلال أتباعهم في مشهد آخر قائلين : " **قَالَ الَّذِينَ اسْـتَكْبَرُوا لِلَّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوا أَنَحْـنُ صَـدَدْنَاكُمْ عَـنِ الْهُـدَى بَعْـدَ إِذْ جَـاءكُم بَـلْ كُنـتُم مُّجْـرِمِينَ** " (سبأ : ٣٢) فيجيبونهم مؤكدين أنهم السبب في ضـلالهم : " **وَقَـالَ الَّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَـانُوا يَعْمَلُونَ** " (سبأ : ٣٣) ، ونلاحظ في الآيتين أنه أطلق على المتبـوعين صـفة الاسـتكبار ، وعلى الأتباع صفة المستضعفين ، وأنه لا جـدوى مـن كلتـا الصـفتين ، فهمـا لا تنفعـان أصحابها ، وهم في الجحيم والعذاب سواء .

ويتمنى الأتباع أن يعودوا إلى الدنيا فيتبرؤون من أسيادهم كمـا تـبرؤوا هـم مـنهم " **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُـرِيهِمُ اللّـهُ أَعْمَـالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** " (البقرة : ١٦٧) .

ويطلب الأتباع المساعدة من المتبوعين على وجه اليأس والقنوط ، فهم يعلمون عجزهم عن ذلك " **فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ** " (إبراهيم : ٢١) ، فيجيبونهم بالعجز : " **قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ** " (إبراهيم : ٢١) ، وأتبعوا ذلك بالإقناط ، وأخذوا في لوم الأتباع على جزعهم ، وعدم صبرهم ، وأنهم وإياهم مجتمعون في عذاب واحد ، ولا سبيل للنجاة منه ، وأنه لا فائدة من الجزع ، كما لا فائدة من الصبر .

وبالمقابل يبرز الله صورة أخرى للمؤمنين الذين يثبتون على طريق الحق ، ولا يتبعون الباطل ، فيقول على لسان أهل النار " **مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ** " (ص : ٦٢ – ٦٣) ، وهي مقابلة بين أحوال الأتباع الذين اتبعوا الضلال بسبب ضعف نفوسهم ، وضعفاء المؤمنين الذين كانوا يلقون السخرية والإهانة من الطغاة ، لكنهم ثبتوا على إيمانهم ، ولم ينجرفوا وراء الأهواء ، وشتان بين مآب كل من الفريقين ، وهي دعوة إلى الثبات على الحق ، وعدم اتباع الهوى ، ومن يزينون له من شياطين الإنس والجن .

والمقصود من حوارات الأتباع والمتبوعين يوم القيامة إنذار الغافلين في الدنيا ، وتحذيرهم من التورط فيما يؤدي إلى الحسرة والندم في الآخرة ، إذ لا ينفعهم فيها ندم ولا حسرة .

وتنسجم هذه المضامين مع ما جاء في القرآن الكريم في غير مشاهد القيامة ، فقد حذر الله من مخاطر التبعية في أكثر من موضع في كتابه العزيز ، فقال مثلاً : " **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ** " (المائدة : ٧٧) ، وقال : " **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** " (الحج : ٣ – ٤) .

وحذر من مرافقة أصحاب السوء ، ونهى عن اتِّباعهم : " **الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** " (الزخرف : ٦٧) .

أما سبيل التخلص من التبعية فيكون بالاهتداء إلى الحق ، والالتزام به بصدق ، والإقبال على الله والشعور بمراقبته ، وصياغة الأفكار والمبادئ من خلال حقائق القرآن ، والاعتداد بالإرادة ، والحرص على العزة والكرامة ، واستحضار المصير البائس للمتبوعين وأتباعهم يوم القيامة (1) .

٤ . تمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الدنيا دار عمل ، وأمر الناس بالاستقامة والصلاح فيها ، وكلفهم بالعبادات والطاعات ، وأرسل إليهم الرسل للهداية ، وذلك منذ بداية الخلق ، فقد جعل الحياة على الأرض مرحلة يعيشها الإنسان للابتلاء والعمل : " **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** " (البقرة : ٣٨) ، وتنتهي فترة الابتلاء والعمل بانتهاء حياة الناس على الأرض بالموت ، فتنقطع أعمالهم من الدنيا ، تمهيداً ليوم الحساب الذي يُثيب الله فيه المحسنين ، ويُعاقب الكافرين وفق ما قدموا من أعمال " **وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** " (الكهف : ٤٩) .

أما الكافر فيعلم انه قصر في حياته ، ولم يقدم من الطاعات ما ينجيه في هذا اليوم ، فيتمنى الرجعة إلى الدنيا ليتدارك ما فاته ، ولكن لا سبيل إلى الرجوع ، وقد انتهت مدة ابتلائه ، وليس له إلا ما قدم من أعمال : " **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** " (النجم : ٣٩) ، وقد تكرر مبدأ رغبة الكافرين في الرجوع إلى الدنيا في مشاهد القيامة ، وتكرر رد طلبهم من الله تعالى ، تأكيداً منه أن هذا اليوم هو يوم الجزاء والعقاب ، ولا مجال لتدارك ما فاتهم من تقصير في حياتهم الدنيا .

---

(1) انظر : الأتباع والمتبوعون ١٩٣ – ١٩٤ .

وتبدأ الرغبة في الرجوع إلى الدنيا منذ لحظة الوفاة : " **حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** " (المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠) .
فيجيبه الله تعالى زاجراً : " **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** " (المؤمنون : ١٠٠) ، فلا يجاب طلبه .

ويأمر الله الناس بالإنفاق في سبيل الله قبل أن تأتيهم ساعة الموت فيندمون ويتمنون تأخير الأجل ، ليقدموا الطاعات ويتداركوا تقصيرهم ، حيث لا ينفع الندم ، ولا يُجاب طلبهم " **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** " (المنافقون : ١٠) .
ويأتي الجواب من الله ، بنفي التأخير: " **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** " (المنافقون : ١١) .

أما يوم القيامة ، فيتضرع الكافرون إلى الله ، ويتمنون الخروج من النار ، ويطلقون الوعود بالصلاح والاستقامة ، وعدم الرجوع إلى ما كانوا عليه من التكذيب والعناد " **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** " (المؤمنون : ١٠٧) ، فيجيبهم الله زاجرا إياهم ، ومحقراً لهم : " **اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** " (المؤمنون : ١٠٨) أي لا تكلموني في إخراجكم منها .

وفي مشهد آخر يتمنى الكافرون أن يخرجوا من النار ، ويرجعوا إلى الدنيا حتى يعملوا صالحا " **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** " (فاطر : ٣٧) ، وتضمن كلامهم اعترافاً بفساد أعمالهم في حياتهم الأولى ، فطلبوا الرجعة ليصلحوا ما فسد منها ، فيجيبهم الله تعالى : " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ** " (فاطر : ٣٧) ، أي لقد أُعطيتم الفرصة الكافية للصلاح والطاعة ، ولكنكم فرطتم فيها ، فلا مجال لفرصة أخرى .

وحين يطلع الكافرون على سوء ما حل بهم من العذاب ، فإنهم يندمون على تفـريطهم ويتمنون الرجعة إلى الدنيا " **وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ** " (الشورى : ٤٤) .

ويصور الله شدة الحسرة ، وعمق الندم لدى الكافرين يـوم القيامـة ؛ فيتعلقـون بالأمـاني ويبحثون يأساً عن شفعاء " **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** " (الأعراف : ٥٣) ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا تقصيرهم "**أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** " ويعلـق الله على هذه الأقوال بأنهم خسروا أنفسهم ، وذلك بتكذيبهم وافترائهم ، ولا خسران أعظم من أن يخسر الإنسان نفسه يـوم القيامـة " **قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** ".

وتتفق هذه الحوارات مع ما جاء في القرآن الكريم في غير مشاهد القيامـة ، فقـد أمرنـا الله تعالى بالتزود بالتقوى " **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** " (البقرة : ١٩٧) ، وهي خير زاد ؛ فهي تبعد عن المعاصي ، وتقرب العبد إلى الله .

وأمر الله المؤمنين بالإعداد ليوم القيامة " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** " (الحشر : ١٨ – ١٩) ، جعل ما يقدمـه الإنسـان لغـده بين تقويين ، فكأن في هذا إشارة واضحة إلى أن تكـون التقـوى ملازمـةً للمـؤمن في كـل أحواله .

يتبين من خلال هذا العـرض السـريع دور الحـوار في مشـاهد القيامـة في تثبيـت المبـادئ والمضامين التي أراد الله تثبيتها ، فقد أكـدت الحـوارات هـذه المضـامين بطـرق وأسـاليب مختلفة ، بحيث تخدم الغرض الديني ، وحققت هذه الحوارات غايات سامية في إطار صـور

من المواقف المتعددة ، وأبرزت سمات المتحـاورين ، بكـل مـا يعتـورهم مـن تحـولات ، وينتابهم من مشاعر .

وقد لاحظنا أن هذه المضامين الخاصة بيوم القيامة لا تنفصل عن المضامين الكلية للقـرآن الكريم ، بل إنها تتفق معها ، وتدعمها.

الفصل الثالث

التحليل الدلالي والبياني

لحوارات مشاهد القيامة

أولاً : نماذج من حوارات مشاهد القيامة

١ . حوار ساعة الموت

يجهل الإنسان حقيقة الموت وما بعده ، وهي أمور غيبية محجوبة عن علم الإنسان ، ولا شك في أن الموت أولى محطات العالم الغيبي غير المشهود ، وأن كل ما يتبعه من حياة البرزخ والنشور ، والحشر ، والحساب ، وما يترتب عليه من جنة أو نار مرتبط به ؛ فهو الخطوة الأولى . والمستفاد من آيات ساعة الموت ولحظة الاحتضار في القرآن الكريم ، أن الإنسان في هذه الحالة تُفتح له نافذة على العالم الغيبي ؛ فيرى أشياء لم يكن يراها في حياته المادية ، ويشاهد جانباً من الغيبيات ، وذلك بعد أن تنقطع الصلة بينه وبين عالمه المشهود ، حتى تظل هذه الساعة من الأمور الغيبية التي لا تنكشف إلا لحظة الموت ، وقد أخبرنا الله تعالى عن بعض ملامح هذه الساعة ، وما يدور فيها من حوارات ، وذلك للعبرة والتذكير ، وترى الباحثة ضرورة تناول هذه الآيات على المعنى الظاهر منها ، دون التوغل في التأويل لما ورد فيها من نفس وروح وموطن الروح من الجسد ، وغيرها من التأويلات .

وقد ذكر الله مشاهد ساعة الموت ، وأورد فيها حوارات في عدد من السور في القرآن الكريم [1] ، وقد اختارت الباحثة واحداً من هذه المشاهد ، هو مشهد وفاة فرعون وما دار فيه من حوار .

---

[1] انظر مثلاً : (النساء : ٩٧) ، (الأنعام : ٩٣) ، (الأعراف : ٣٧) ، (النحل : ٢٨) .

في هذا المشهد يصف الله لحظة وفاة فرعون ، وإعلانه الإيمان عند رؤيته دلائل الموت ، وقد جاء هذا المشهد بعد سرد طويل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ، وقد صوَّرت الآيات السابقة لهذا المشهد جبروت فرعون وإنكاره آيات الله ، واتهامه موسى بالسحر ، وعصيانه على بني إسرائيل ومنعهم من الخروج معه ، واستخدامه كل ما لديه من طغيان وظلم ليوقعه عليهم ، فدعا موسى عليه وعلى أتباعه أن يشدُد الله على قلوبهم ؛ فلا يؤمنون حتى يرَوا العذاب الأليم ، وقد أنبأه الله أنه استجاب دعاءه ، ووصف ذلك في مشهد مُفَصَّل دار فيه حوار بين الله وفرعون ، يقول : " **حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** " (يونس : ٩٠) لما رأى الموت واستيقن منه ، أعلن إيمانه وأكده بثلاث طرق ، يقول الزمخشري : " كرر المعنى الواحد ثلاث مرات ، في ثلاث عبارات حرصاً على القبول " ([1]) ، ويقول أبو حيان : " ولما لحقه من الدهشة ما لحقه ، كرر المعنى في ثلاث عبارات ، إما على سبيل التلعثم ؛ إذ ذلك مقام تحار فيه القلوب ، أو حرصاً على القبول " ([2]) وترجح الباحثة الرأي الأول أي بسبب التلعثم والحيرة ، وأن إيمان فرعون كان باطلاً مفتعلاً بدليل أنه استكبر أن يذكر اسم الله في شهادته ، وأن إيمانه جاء تحقيقاً لدعاء موسى عليه السلام حتى يرَوا العذاب الأليم . وَرَدَّ الله عليه : " **آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** " (يونس : ٩١) ، أي أتؤمن الآن ؟ وتسلم لتنجو من الغرق ؟ وقد عصيت وكنت من المفسدين ضلالاً وظلماً وعتواً .

وفي جواب الله تعالى دلالة أنه لم يقبل منه إيمانه ؛ حيث أخطأ وقته ، وقاله حين لم يبقَ له اختيار ، فأغرقه الله كافراً عاصياً ، يقول: " **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** " (يونس : ٩٢) ننجيك أي نبعدك عما أصاب قومك من الغرق في قاع البحر ، وذلك أنه طُرِحَ بعد الغرق بجانب البحر، وفي التعبير عن

([1]) الكشاف ٣ : ١٦٩ .

([2]) البحر المحيط ٥ : ١٨٨ .

إخراجه من القعر إلى الشاطئ بالتنجية ، التي هي في الأصل الخلاص من المكروه ، تهكم واستهزاء ، ويُؤَكَّد هذا المعنى من خلال تفسير "بِبَدَنِكَ" أي جسدك الذي لا روح فيه ، حتى يكون آية وعبرة للأمم الكافرة ، ولا يخفى على أحد ما كان عليه فرعون من عِظَم الشأن ، وكبرياء المُلك ، وادعائه الربوبية ، فأن يُظهر الله للناس عبوديته آيةٌ عظيمةٌ ؛ فقد كان قومه يستبعدون موته ، وفي قوله تعالى : "**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**" تأكيدٌ ؛ وذلك لأن الضلال يغلب على البشر ، وكثير منهم ينكرون آيات الله ، ويغفلون عنها ، وترى الباحثة أن تقديم الجار والمجرور "عَنْ آيَاتِنَا" بسبب تقدم ذكر بعض منها في قصة موسى وفرعون ، من فَرْق البحر ، ونجاة موسى عليه السلام ، وغرق فرعون وهلاكه ، وربما كان التقديم لموافقة الفاصلة القرآنية ، أو للعلتين معاً .

ويعكس هذا الحوار ضعف النفس الإنسانية ساعة الموت ، ويصَوِّرُ الإنسان مجرداً من قوته وجبروته مُستسلماً مُنيباً إلى الله ، بعد أن عَرَف الحق واطلع عليه ، وظهرت له دلائله ، ويصَوِّر شدة الموت وسكراته ، وما يقاسيه الكفار من مشقة وهوان وخزي في هذه الساعة .

ويرتبط هذا الحوار بقضية شديدة الحساسية من قضايا العقيدة ، هي إعلان الإيمان ساعة الموت ، وقد أطلق الله الحكم الفاصل فيها ، وهو عدم قبول الإيمان في هذه اللحظة ، والمستفاد من هذا المشهد أن الكافر لا يدري ما يقول ساعة الموت ، فيتلعثم ويكرر المعنى .

٢. حوار الله مع الملائكة

ورد حوار الله مع الملائكة يوم القيامة في غير موضع من القرآن (١) ، وقد اختارت الباحثة هذا المشهد على سبيل الانتقاء .

---

(١) انظر مثلاً : (الفرقان : ١٧ – ١٨) يرى المفسرون أن الحوار في هاتين الآيتين مع الملائكة والأنبياء والرسل والعلماء ، انظر مثلاً البحر المحيط ٦ : ٤٤٧ ، الكشاف ٤ : ٣٣٨ .

يتعلق هذا الحوار بما جاء من سؤال الله عن قضية الشرك يوم القيامة ؛ فهو مُوَجَّه للملائكة عن عبادة المشركين إياهم ، فيسألهم توبيخاً وتقريعاً للمشركين ، أما الملائكة فيعلم الله أنهم منزهون عما وُجِّه إليهم من السؤال " **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** " (سبأ : ٤٠) .

يبدأ عرض المشهد بأسلوب التهويل والتخويف من ذلك اليوم ، وذلك بحذف علة النصب في "يوم" ؛ فهي منصوبة بفعل مضمر تقديره احذروا أو اذكروا ، والحشر لجميع المكذبين ، يحشرهم جميعاً ثم يسأل الملائكة ، والمقصود منه توبيخ المشركين الذين عبدوهم ، واتخذوهم أولياء من دون الله ، وجاء اسم الإشارة "هؤلاء" فيه دلالة أن هذا الحوار كان بمحضر من المشركين ، وأنهم يسمعون السؤال والجواب ، فلا يملكون التكذيب أو الإنكار .

وتبدأ الملائكة إجابتها بتنزيه الله وتعظيمه ، وإعلان موالاتهم لله دون المشركين ، وعدم الرضا عن عبادتهم لهم " **قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ** " (سبأ : ٤١) ، وعلة التسبيح هي تعظيمه وتقديسه تعالى أن يكون له شريك ، والموالاة كما يقول الراغب : " لفظة تستعار للقرب ، من حيث المكان ، ومن حيث النسبة ، ومن حيث الدين ، ومن حيث النصرة والصداقة والاعتقاد " (1) ، فلم تنفِ الملائكة عبادة البشر إياها ، وإنما أقرت بعدم رضاها عن هذه العبادة ، ونسبوا العبادة لغواية الشياطين ، الذين زيَّنوا لهم الشرك ، والمقصود بعبادة الشياطين الاستماع لهم ، وطاعتهم ، واتباع إغوائهم .

وينتهي المشهد بإعلان من الله تعالى أن الأمر كله بيده وحده ، وأن الملائكة لا تملك نفعاً ولا شفاعة ، كما لا تملك دفعا للضر أو العذاب ، وأن المشركين يستحقون العذاب الشديد بما ظلموا أنفسهم ، بشركهم وانحرافهم عن طريق الحق ، واتباعهم غواية

---

(1) المفردات : مادة ولي .

الشياطين " **فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ** " (سبأ : ٤٢) .

ولما كانت الغاية من هذه المساءلة توبيخ المشركين ، وقد سمعوا السؤال والجواب ، إذ كانت المساءلة بمحضرٍ منهم ، ولم يملكوا الإنكار أو التكذيب ، فاستحقوا العذاب الشديد في النار ، وهو العذاب الحسي يرافقه العذاب المعنوي ، بما تحصل لهم من التوبيخ والتقريع ، وتخلي الملائكة عن عبادتهم ، وردهم إلى عبادة الشياطين وإطاعتهم ، وفي استعمال فعل الأمر "ذوقوا" في هذا السياق أقصى درجات التعنيف والتبكيت ، وليس لهم ناصر ولا شفيع ، ويلفت النظر استعمال الاسم الموصول المؤنث في قوله " ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ " فقد أعاده على النار صفةً لها ، وأعاده في سورة أخرى بصيغة المؤنث صفةً للعذاب في قوله : " **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** " (السجدة : ٢٠) .

وقد وردت في هذا الحوار أساليب لغوية كالاستفهام المثبت : " **أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** " ، والنفي : " **لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا** " ، والإبطال : " **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ** " ، والتأدب في مخاطبة الله : " **سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم** " ، وتضمنت هذه الأساليب معاني بلاغية كالتوبيخ للمشركين والاستهتار في الإشارة إليهم " **أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** " ، والتهويل : " **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا** " ، والتبكيت : "**ذُوقُوا**" ، إضافةً إلى دلالات الألفاظ في السياق كدلالة " **أَهَؤُلَاء** " لإفادة حضورهم ، والتسبيح لتعظيم الله وتنزيهه .

٣ . حوار الله مع الرسل

جاء هذا المشهد في سياق الحديث عن الأمانة والحث على أدائها ، وعدم إظهار خلاف الإبطان ، وأن الله يعلم ما يخفى وما يظهر ، فقد جاء في الآيات السابقة لهذا

المشهد الحديث عن الحكم في شاهدَي الوصية ([1]) ، والأمر بتقوى الله ، وأداء الأمانة فذكر هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة ، مثلاً على الصدق في الشهادة .

يبدأ المشهد بجمع الرسل ، " **يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** " (المائدة : ١٠٩) ، ويرى بعض المفسرين أن الاستفهام جاء توبيخاً لأقوامهم ، لإقامة الحجة عليهم ، يقول الزمخشري : " لو أراد الجواب لقال بماذا أُجبتم " ([2]) ، ويعلم الرسل أن سؤالهم لتوبيخ الكافرين ؛ فتركوا الأمر إلى علمه تعالى ، ووكلوه بالانتقام منهم ، وتضمن جوابهم تفويضا للأمر إلى علم الله ، والاتكال عليه ، وإظهاراً للشكاية منهم ، فيكون ذلك أدعى لحسرة الكافرين ، وخزيهم .

هذا رأي بعض المفسرين ([3]) ، ويرى غيرهم أن السؤال إنما وقع على كل الأمة ، ولم تكن كل الأمة كافرة ليقع عليها التوبيخ ، واكتفوا بتفسير الآية على الظاهر ، أي أن علمنا ساقط إلى جانب علمك ، ومغمور به ؛ لأنك علام الغيوب ، ويترجح في هذه الإجابة التسليم بأمر الله ، ورد الأمر إليه ، إذ لم يعلموا إلا ما شوفهوا به ، إضافة إلى قصور علمهم بما انطوت عليه الصدور من النفاق ، وما كان بعدهم من أمر الأمم ([4])

وعلى هذا يكون السؤال بمعنى ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟ ودليله قولهم : " **إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** " فيناسبها هذا التأويل ، وترجح الباحثة الرأي الثاني ؛ إذ لم يَرِد في سياق المشهد حضور للأمم ، إنما كان الجمع للرسل فقط ، ولم يَرِد في سياق الحوار ما يوحي بحضورهم . وترى الباحثة أيضاً أن الغاية من السؤال هي تذكير الأنبياء أن بعضاً من أقوامهم انحرفوا عن الحق ، مع أنهم يعرفون ذلك حق المعرفة .

([1]) انظر : (المائدة : ١٠٦ ، ١٠٨) .

([2]) الكشاف ٢ : ٣١٠ .

([3]) قاله الزمخشري ، انظر : الكشاف ٢ : ٣١٠ . وقاله القرطبي وعزاه للنحاس ، انظر الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٣٦١ .

([4]) انظر : البحر المحيط ٤ : ٥٣ .

نلاحظ في هذا الحوار أسلوب التأدب في مخاطبة الله تعالى ، والتسليم له والخضوع لعلمه ، وقد جاءت صيغة المبالغة "علام" لتدل على علم الله الواسع ، وتتسق مع صيغة الجمع في "الغيوب" فهو يعلم ما تظهر النفوس وما تخفيه ، ويعلم غيب الدنيا والآخرة ، والحاضر والغائب ، وما كان وما سيكون .
وتشير الباحثة إلى ورود مشهد حواري آخر بين الله والرسل يوم القيامة ، يسألهم عن ضلال الكافرين (١) .

٤ . حوار الله مع عيسى عليه السلام (٢)

جاء هذا المشهد بعد ذكر مُطوَّل لقصة عيسى عليه السلام مع الحواريين ، وما كان من أمر المائدة التي طلبوا تنزيلها عليهم من السماء ، وإجابة الله طلبهم ، فكان هذا الحوار توضيحاً لما كان من أمر النصارى ، وما أحدثوه من انحراف عن الحق ، وأنهم ادعوا على عيسى ما لم يقله .
يسأل الله عيسى عليه السلام ، توبيخاً لمن ادعى عليه ما لم يقله ، وذلك ليكون الإنكار بعد السؤال أبلغ في التكذيب ، وأشد في التوبيخ والتقريع : " **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ** " (المائدة : ١١٦) ، ينادي الله عيسى عليه السلام باسمه ، وهو أسلوب يعكس صورة من العطف ، ويزخر بجو من المحبة ، ويوحي بتعاطف كبير ، وجاء النداء بهذه الصيغة: "**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**" نفيا مسبقاً لما قاله النصارى من أن عيسى ابن الله ، أو أنه وأمه إلهان ، ويفسر بعض العلماء إلهية

(١) انظر : (الفرقان : ١٧ – ١٨) .

(٢) يرى بعض المفسرين أن هذا الحوار جرى حين رُفِع عيسى إلى السماء ، وقالت النصارى ما قالت ، وادعت أن عيسى أمرهم بذلك ، انظر البحر المحيط ٤ : ٦٣ ، ويرى آخرون انه يجري يوم القيامة ، ويرجح القرطبي هذا الرأي ، بدليل قوله تعالى في نهاية المحاورة : "**قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**" انظر : الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٣٧٥ .

الصِّدِّيقة مريم ، بأن النصارى قالوا إنها لم تلد بشراً ، وإنما ولدت إلها ، فلزمهم أن يقولوا من حيث البعضية بإلهية من ولدته ([1]) .

يطرح الله هذا السؤال على عيسى عليه السلام أمام الخلائق يوم القيامة ، حتى يعلم الكفار أن ما كانوا عليه باطل ، والسؤال بهذه الصيغة ليس استخباراً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولو كان استخباراً لقال : "أقلت" ؟ ، ويجيب عيسى عليه السلام مُنَزِّهاً الله تعالى ، أن يقول هذا القول ، أو ينطق به ، وذلك بالتسبيح : **قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** " (المائدة : ١١٦) ، وبعد التسبيح ينفي أن يكون قد قال هذا الكلام ، وأنه ادعى لنفسه ما ليس من حقها ، وفي الجملة الشرطية " **إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** " خضوع وتواضع ، فلم يقل "لم أقله" ، وإنما فوض ذلك إلى علم الله الواسع ، وهو من المبالغة في الأدب ، وإظهار الخضوع والخشوع ، في مخاطبة الله ، وأكد ذلك بإثبات علم الله ما في نفسه ، وذَكَر النفس لأنها موضع الكتمان ، فالله تعالى يعلم ما في داخله ، وفي هذا إشارة إلى أنه لم يهجس بهذا القول حتى في سره .

وفي قوله " **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** " أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري ، ولا أعلم شيئاً مما استأثرت به من علمك ، يقول الزمخشري : ولكنه سلك في الكلام طريق المشاكلة ([2]) ، فقال في نفسك (مشاكلةً) لقوله في نفسي ، وهو من فصيح الكلام وبينه " ([3]) . وأكد كل ما قاله في عبارة واحدة جامعة " **إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** " .

ونفى عيسى عليه السلام أن يتعدى أمر الله في أن يطلب اتخاذه وأمه إلهين " **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** " (المائدة : ١١٧) ، " ولم يقل ما أمرتهم إلا

([1]) انظر : البحر المحيط ٤ : ٦٣ .

([2]) المشاكلة : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، تحقيقاً أو تقديراً . الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢٥٢ .

([3]) الكشاف ٢ : ٣١٥ .

ما أمرتني ، وعدل عن الأمر بالقول ، لئلا يجعل نفسه وربه آمرين " ([1])، وذلك من باب التأدب في مخاطبة الله تعالى ، ودل على هذا الربط "أن" التفسيرية ، فأصل الجملة : ما أمرتهم إلا ما أمرتني أن آمرهم ، وهو "**اعبدوا الله**" وأكد قوله مقراً بربوبية الله بقوله "**ربي وربكم**" .

وأضاف أنه كان شديد الحفظ والرقابة عليهم ، طيلة مدة إقامته معهم في الدنيا ، فلما توفاه ([2]) الله إلى السماء ، انقطعت رقابته عليهم ، وعلمه بما أحدثوه من بعده ، والله شهيد على انحرافهم ، وضلالهم " **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**" (المائدة : ١١٧) وترى الباحثة أن كل ما قاله عيسى عليه السلام ، نفي لما سُئل عنه ، وإقرار بربوبية الله ، ووحدانيته ؛ فبدأ إجابته بالتسبيح تنزيهاً لله ، وتعظيمه أن يكون له شريك ، ثم أكد ذلك بإحالته إلى علم الله الواسع ، وقابله بعلمه المغمور ، وليس من صفات الإله محدودية العلم ، إضافة إلى المبالغة في التأدب في مخاطبة الله ، والخضوع له .

وكما فوض عيسى عليه السلام قول قومه إلى علم الله في بداية إجابته ، فقد فوض مصيرهم إلى الله في نهايتها ؛ فهو الإله الواحد الأوحد الذي لا شريك له في حكمه ، وهو القاهر فوق عباده ، ومع قوته فهو حكيم ، يضع كل شيء موقعه اللائق ، فالله قادر على تعذيبهم بما قالوا ، وهو القوي العزيز ، وإن أراد المغفرة ، فيغفر غفران من يملك العزة والحكمة " **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " (المائدة ١١٨) لذلك جاءت فاصلة الآية تمكن هذا المعنى ، يقول السيوطي: " وذكر في حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب ، إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ؛ فهو العزيز أي الغالب ، والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله ، وقد يخفي وجه الحكمة

([1]) البحر المحيط ٤ : ٦٤ .

([2]) المعنى رفعه إلى السماء ، ويرى العلماء أن الوفاة في القرآن على ثلاثة أوجه : وفاة النفس وهو انقضاء أجلها ، ووفاة النوم ، ووفاة الرفع إلى السماء . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٣٧٥ .

على بعض الضعفاء في بعض الأفعال ، فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن ، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب ، فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته " ([1]) .

وينتهي المشهد بإعلان من الله تعالى أن يوم القيامة هو يوم نفع الصادقين ، وفي قوله إشارة إلى صدق عيسى عليه السلام ، " **قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** " (المائدة : ١١٩) ، فالصدق ينفع الصادق في الدنيا والآخرة ، وخص النفع في الآخرة ، لأنه يوم الجزاء ، الذي تُحْصَد فيه ثمرات الأعمال ، فيجزي الله الصادقين ، جزاء صدقهم ، ويمنحهم رضاه بما قدموا من أعمال ، وهم يرضون عنه بحسن ثوابه لهم .

جاء الاستفهام من الله يوم القيامة أمام الخلائق ، توبيخاً للمشركين وإقامةً للحجة ، وقد كانت الإجابة موافقة للغاية من السؤال ، إذ إن الإنكار بعد الاستفهام أدعى للتوبيخ وأشد وقعاً على الكافرين .

وقد تضمن الحوار أساليب لغوية عديدة ، كالنداء : "**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**" والاستفهام : "**أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ**" ، والنفي : "**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**" و "**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ**" ، والشرط : "**إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**" و "**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" والحذف : "**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ**" .

وتضمنت هذه الأساليب معاني بلاغية مختلفة كالتوبيخ للذين انحرفوا عن الحق من النصارى : "**أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ**" ، والإقرار : "**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ**" ، إضافة إلى أساليب التأدب في مخاطبة الله تعالى ، وإيراد الحجة ، وتأكيد العبارات ، لترسيخ مفهوم النفي ، وزيادة في توبيخ المشركين .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢٧٥ .

٥. حوار الله مع أهل النـار

يعاني أهل النار أصنافاً كثيرة من العذاب الحسيِّ ، وقد وصـف القـرآن ألوانـاً مختلفـة لهذا النوع من العذاب ، ولكن هناك عذاباً آخرَ أشد وطأةً ، هو العذاب المعنوي ، ويتمثل هذا النوع من العذاب بما يلقونه من التوبيخ والتقريـع والإهانـة والاسـتهزاء ، مـن الله ، والملائكة ، ومن المؤمنين ، وحتى من النار نفسها ، ويظهر هذا ضمن ما يدور بيـنهم مـن حوارات .

ويمثل حوارهم مع الله تعالى أشد هذه الحوارات تبكيتاً وإهانةً ، لما يشـعرون بـه مـن نـدمٍ وحسرة ، ومـا يصـدر عـنهم مـن تضـرع ورجـاء ، حيـث يقابلـهم الله تعـالى بالإهمـال والاستخفاف .

وقد ورد حوار الله مع أهل النار في عدد من السـور ([1]) ، وسـتعرض الباحثـة مشـهدين على سبيل الانتقاء .

- **المشهد الأول**

جاء هذا المشهد في سياق مخاطبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، تسليةً له بسبب المعرضين عن سماعه من الكفار وأهل الكتاب ، وقد أمره الله تعـالى بقلـة المبـالاة بهـم ، وبالمضيِّ في انتظار الوعد الحق ، وهو يوم القيامة " **وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَـن ضَـلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** " (النمل : ٨١) ، وذكر علامة من علامـات هذا اليوم ، وهي الدابة التي تخرج على الناس وتكلمهم ، وتشهد أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الحق ، وأنهم إنما أُخِذوا بالعقاب ، وحل بهم العذاب لضـلالهم " **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** " (النمل : ٨٢) .

([1]) انظر مثلاً : (المؤمنون : ١٠٥ ، ١١٥) ، (السجدة : ١٢ ، ٢٠) ، (غافر : ١٠ ، ١٢) ، (الجاثية : ٣٣ ، ٣٥) .

وبما أن ظهور هذه الدابة من أشراط يوم القيامة ، وعلاماتها الكبرى ، وهي إيذان باقتراب البعث ، فقد ناسب أن يذكر هذا المشهد وما يدور فيه من حوار بين الله وأهل النار .

يبدأ عرض المشهد بالحشر ، وهو فعل يختص بالجماعة الكبيرة من الناس ، ويقول أبو حيان : " والحشر : الجمع على عنف " (1) ، ويأتي هذا الجمع على أفواج من الكافرين الذين يكذبون بآيات الله : " **وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ** " (النمل : ٨٣) ، ويقول الزمخشري في تفسير "يُوزَعُونَ" : أي يُحبس أولهم على آخرهم فيُكَبكَبُوا في النار ، وهي عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه " (2) ، حتى إذا حضرت هذه الأفواج من الكافرين بين يدي الله تعالى ، سألهم عن تكذيبهم بآياته ، من أنبياء ورسل ، وكتب سماوية ، ودلائل خلق الله تعالى في أنفسهم ، وفيما حولهم من بدائع الكون : " **أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** " (النمل : ٨٤) ، وفي هذا الاستفهام تقريع وتوبيخ على تكذيبهم بآيات الله ، وإعراضهم عنها دون تدبر لها أو إحاطة بحقيقتها ، فلم يجتهدوا في تبصرها ، فهم لم يعملوا شيئاً سوى التكذيب ، وفي سؤاله "**أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**" استفهام للتوبيخ المحض ، وليس للتعيين ؛ فالله تعالى يعلم حالهم ، فجاء الاستفهام توبيخاً وتقريعاً لا غير.

يخاطب الله الكافرين بهذا الخطاب ، ثم يُلقون في النار ، فيشغلهم العذاب عن النطق ؛ فلا يجيبون ، ولا يعتذرون ، ولا نسمع لهم جواباً .

ويختم الله المشهد بذكر آيتين من آياته في الكون ، أولاهما تعاقب الليل والنهار " **أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** " (النمل : ٨٦) ، والثانية تسيير الجبال " **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** " (النمل : ٨٨) ، وهي

---

(1) البحر المحيط ٧ : ٩٢ .

(2) الكشاف ٤ : ٤٧٤ .

دعوة للتفكر والتدبر فيما حولنا ، والتبصر في إبداعات الله ، ولا شك أن في اختيار هاتين الآيتين تحديدا حكمة بالغة ، إذ فيهما دلالة على مرور الأيام ، وتقضي الآجال ، وذلك للتنبيه على سرعة هجوم الموت ، وقرب البعث .

- **المشهد الثاني**

جاء هذا المشهد بعد الحديث عن أهل الجنة وذِكْر ألوان من النعيم الذي يلقونه ، فذكر جوانب حسية كالتزيين بالذهب واللؤلؤ ، ولباس الحرير " **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** " (فاطر : ٣٣) ، وجوانب أخرى معنوية كزوال الحزن ، والمشقة ؛ فيحمدون الله ويثنون عليه " **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** " (فاطر : ٣٤) .

ولما ذكر حال المؤمنين ومقرهم ، ذكر حال الكافرين ، وما يقابلونهم من ألوان العذاب الحسي والمعنوي ؛ فأهل النار خالدون فيها ، لا يُجهز عليهم فيستريحوا بالموت ، ولا يُخَفَّف عنهم شيئاً من عذابها " **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** " (فاطر : ٣٦) وجاءت صور العذاب في هذه الآية مستمدة من إيحاءات تركيب الجمل ، ودلالات الألفاظ والحروف ، التي تفسر هول العذاب وشدته ؛ ففي قوله نار جهنم ، أضاف الاسم إلى نفسه ، يقول الراغب إنها اسم لنار الله الموقدة ([١]) ، وفي اللغة يُسَوّغ هذا النوع من الإضافة للتوكيد ، في حال اختلاف اللفظين ([٢]) كقولنا : حِمام الموت ، وجنات عدن ، وترى الباحثة أن في إضافة الاسم إلى نفسه دلالة على قوة العذاب وشدته ، وفي دلالة حرف الجر في قوله "لهم" الذي يفيد الاختصاص والاستحقاق ([٣]) فهي تختص بهم وهم يستحقونها ، وفي حرف

---

(١) انظر المفردات : مادة جهنم .

(٢) انظر : خزانة الأدب ١١ : ١٧٢ .

(٣) انظر : حروف المعاني ٤٠ .

النفي "لا" دلالة امتداد زمنه ([1]) ، وفي الآخرة لا نهاية للزمن ، وامتداد نفي الموت يعني الخلود في النار ، واستعمال حرف الجر "من" في قوله "من عذابها" دلالة على أنواع مختلفة من العذاب. هذه الدلالات في بناء الجمل ، وعلاقات الألفاظ مع الحروف ، توحي بشدة العذاب بنوعيه الحسي والمعنوي ، وهم في هذه الحال ، يصرخون ويصيحون مستغيثين بالله .

هذا هو سياق الحوار ، عذاب خالد ، ولا أمل في الخلاص بالموت أو التخفيف ، وصراخ متزايد " **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**" (فاطر : ٣٧) ، واستعمل الزيادة في الفعل " يَصْطَرِخُونَ " لإفادة الشدة والجهد في الاستغاثة ، وطلب الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ، وفي قولهم "**غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**" إقرار منهم بفساد عملهم في الدنيا ، فكأنه عز عليهم التصريح بما يفيد الكفر والعصيان ، في مقابل الصلاح والإيمان ، واكتفوا بقول : " **غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** " ولو صرحوا بذلك لكان فيه إمعان في إدانتهم أنفسهم ، وتثبيت لكفرهم وضلالهم .

ويجيبهم الله مقيماً الحجة عليهم : " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " (فاطر : ٣٧) وهو استفهام تقريري مفاده : لقد عمرناكم في الدنيا ، ومكناكم فيها ، ما لو أردتم أن تؤمنوا لآمنتم ، ويقول أبو حيان : " إنه استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير" ([2]) .

وانتهى المشهد بإقرار علم الله الواسع في السماوات والأرض ، وفي دواخل النفوس "**إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** " (فاطر : ٣٨) .

ويلفت النظر هذا الانسياب اللفظي والمعنوي في تناسق الفواصل : " **إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** " ، " **كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** " ، " **فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " فبالإضافة لما يضفي استعمال هذه

([1]) يرى ابن القيم في معنى حرف النفي "لا" أنها تفيد امتداد النفي بامتداد حرف الألف ما لم يقطعه النفس . انظر : بدائع الفوائد ١ : ١٦٦ .

([2]) البحر المحيط ٧ : ٣٠٢ .

الفواصل على الأسماع من إيقاع لفظي متناسق ، فقد اقتضت دلالة كل منها على استعمال صيغة المبالغة تمكيناً للمعنى وتوكيداً له .

جاء في المشهد تفصيل العذاب بإيحاءات الألفاظ ، والحروف ، وتركيب الجمل ، وذكَرَ الخلود في العذاب بأسلوب وصفي : " **لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا** " ، وإقامة الحجة بإرسال الرسل ، إضافة إلى طول العمر .

واحتوى المشهد أساليب لغوية كالنداء : "**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**" ، والأمر : " **أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا** " و " **فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " ، والاستفهام : " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ**" ، والنفي : " **فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " .

وتضمنت هذه الأساليب معاني بلاغية كالتمني : " **أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا** " ، والتقرير: " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ**" والتبكيت : " **فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**" .

٦. خطاب الله لأهل الجنة

ورد ذكر الجنة كثيراً في القرآن الكريم ، وقد ذكر الله تعالى وصفاً دقيقاً لنعيمها ، وأورد ألواناً من النعيم الحسي والمعنوي لأهلها .

ولم تجد الباحثة في استقصائها للآيات التي تصف الجنة وأحوالها ، وما أعد الله للمؤمنين من نعيم فيها ، ما يوحي بحوارٍ بين الله والمؤمنين ، وقد وجَدَتْ هذا الأمر ملفتاً للنظر ، فقد أكثر الله من الحوارات التي تدور بينه وبين أهل النار ، أما في الجنة فلا سؤال ولا جواب ، ومن المؤكد أن هناك حكمة في عدم وجود مُرادّة أو مُراجعة في الكلام ، وإن كان قد ورد ما يمكن أن نسميه خطاباً من الله للمؤمنين في الجنة ، وليس حواراً ، وذلك لعدم وجود جواب أو كلام منهم ، كقوله :

" **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ** (التوبة : ٢١) ، وفي لفظة " **يُبَشِّرُهُمْ** " إيحاء بحوار بين الله والمؤمنين ؛ فالبشرى هي الخبر السار وبشرته أخبرته خبراً ساراً بسط بشرة وجهه ، والزيادة في الفعل للتكثير والقوة ([١]) ، والرضوان : " الرضا

([١]) انظر المفردات : مادة بشر .

الكثير ، ولما كان أعظم الرضا ، رضا الله تعالى خُص لفظ الرضوان في القرآن ، بما كان من الله "([1]) ، وهذا الرضوان من الله على أهل جنته هو من أعظم النعيم ، ويؤدي إلى طمأنينة أهل الجنة ، وراحتهم وانشراح صدورهم مما يزيد في سرورهم .

وجاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يقول لأهل جنته يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ألا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك ، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً " ([2]) ، فجاء هذا الحوار في الحديث، مُفسراً للآية عند تبشير الله المؤمنين بالرضوان ، أما في القرآن فلم يأت المشهد مفصلاً ، واكتفى بالإخبار عنه .

ومن آيات خطاب الله لأهل الجنة : "**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**" (الحديد : ١٢) . ولم يورد القرآن جواباً أو رداً لهذه البشرى من أهل الجنة .

وفي قوله تعالى : " **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** (القيامة : ٢٢ – ٢٣) دليل على أن أهل الجنة يرون الله ، وتبدو على وجوههم آثار السرور ، وفي تقديم الجار والمجرور دليل الاهتمام والتركيز على المنظور إليه ، الذي يقتضي النظر إليه نضرة وجوه الناظرين ، ومنه قوله : **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** (المطففين : ٢٤) وفي قوله تعالى : " **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** " (الزخرف : ٧٠) " تُحبرون " أي "تسرون سروراً كبيراً يظهر حباره أي أثره في وجوهكم " ([3]) ، والظاهر أن هذا السرور بسبب النظر إلى الله كما جاء سابقاً .

([1]) المصدر السابق كتاب المفردات: مادة رضي .

([2]) صحيح مسلم ٤ : ٢١٧٦ . والحديث برقم ٢٨٢٩ .

([3]) الكشاف ٥ : ٤٥٥ .

ومن آيات الخطاب لأهل الجنة : "**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ** " (الزخرف : ٧١ ، ٧٣) ، تحتوي الآيات السابقة عبارات كثيرة توحي بالخطاب المباشر من الله لأهل الجنة ، كقوله : " **أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ** " و " **وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** " و " **أُورِثْتُمُوهَا** " و " **لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ** " ولكننا لا نجد جواباً للمؤمنين .

وتتعدد آيات الخطاب من الله لأهل الجنة في مواطن كثيرة من القرآن ، وفي موضوعات مختلفة ، كقوله : " **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ** " (ق : ٣٢) ، وقوله : " **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (المرسلات : ٤٣) .

وينعم الله على أهل الجنة بالأمن والطمأنينة والرضا ، جزاءً بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا ، فيرضى عنهم ويرضون عنه ، ويشير إلى أن ما يتقلونه من كلام الله يوحي بالأمن والسلام ، فيقول : " **سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** "(يس : ٥٨) ويفسر هذا قوله تعالى : "**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**" (ق : ٣٤) . فتحية أهل الجنة السلام والجنة هي دار السلام ، وأعلى من ذلك كله أنهم في رعاية الله السلام ، يقول الله في وصف لقائهم : " **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا** " (الأحزاب : ٤٤)

ولما كان أهل الجنة دائمي الاستغفار والتوبة في حياتهم الدنيا ، فإنهم يدعون الله تعالى يوم القيامة ، بالمغفرة وتمام الهداية والنور : "**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (التحريم : ٨) ، وهو دعاء يتوجهون فيه إلى الله ، بطلب المغفرة ، ويعترفون بذنوبهم ، ويرجون الله الرحمة .

يتبين مما سبق أن حوار الله مع أهل الجنة ثابت في الكتاب والسنة ، وهو من النعيم المعنوي الذي أعده الله لهم ، فيكلمهم الله ، ويبشرهم ، ويناديهم ، ويسلم عليهم .

أما أهل النار فهم يتمنون الخروج منها ، ويطلبون مـن الله الرجعـة إلى الـدنيا ليتـداركوا أخطاءهم ، وذلك بالاعتذار والتضرع والتمني ، وأهل الجنة في غنىً عن هـذا كلـه ، فـلا مطلب لهم بعد أن أنعم الله عليهم برضاه .

كما أن الله ركَّز على محاورة الكافرين في مواطن كثيرة من القرآن ، وذلك لإقامـة الحجـة عليهم بإرساله الرسل ، وتنزيله الكتب ، لتبكيتهم ودفعهم إلى الاعتراف بفساد عقيـدتهم وانحرافهم عن الحق ، وجعلهم يقرون باستحقاقهم العذاب .

أما المؤمنون فلا حاجة بهـم إلى هـذه المحـاورات ، فقـد آمنـوا ، وأطـاعوا الله ، وصـبروا فاستحقوا النعيم المقيم .

٧ . الحوار الداخلي

هو الحوار الذي يختص بالذات وحدها ، ويدور بين الشخص وذاته ، فيكـون مرسـلاً ومستقبلاً في الوقت نفسه ، وهي مقولة غير مُعلنة ، ويرجح حصولها داخل النفس ، ومن الثابت أن تعبير النفس عن انفعالاتها يضيف للمشهد أبعاداً لتصوير الصراعات في بـاطن الشخصية ، وما يعتملها من مشاعر وأحاسيس ([1]) . وقد ورد الحـوار الـداخلي في أكثـر من موضع في مشاهد القيامة ، وستعرض الباحثة بعضاً منها .

فعند وضع صحائف الأعمال يكون الكافرون خائفين مشفقين من الافتضـاح " **وَوُضِـعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَـابِ لَـا يُغَـادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّـا أَحْصَـاهَا وَوَجَـدُوا مَـا عَمِلُـوا حَاضِـرًا وَلَـا يَظْلِـمُ رَبُّـكَ أَحَـداً** " (الكهف : ٤٩) ، وعند النظر في صحائف الأعمال يصيبهم العجب والدهشة منهـا لمـا تحويه من الصغائر والكبائر ، فيتحسرون ، ويتعجبون من هذا الكتاب الذي أحصـى كـل المعاصي ، ولم يتسامح في أي منها ، وهم أدرى بما ارتكبـوه مـن مخالفـات ، وقـد كـانوا يظنون أن أعمالهم خفية ، فيقولون هذا الكلام داخل أنفسهم قبل افتضاح أمرهم .

([1]) انظر : لغة الحوار في القرآن الكريم ٧٥ .

ويتمنى الكافر لو لم يتسلَّم كتابه ، لفرط ما فيه من معاصٍ وآثام ، فيقول : " **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ** (الحاقة : ٢٥، ٢٧) ويتمنى أنه لم يعرف شيئاً عن الحساب ، ولم يقف بين يدي الله ، ويتمنى لو أنه مات موتته الأولى ولم يُبعث ، وهي عبارات يقولها في نفسه لفرط ندمه وحسرته ، وكأنه لا يدري ما يقول ، وينفي على وجه الإنكار أن يكون قد انتفع بما كان عليه من المال والجاه " **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ** " (الحاقة : ٢٨ – ٢٩) ، والمستفاد أنه كان لفرط جهله وضلاله يُعَوِّل عليهما النفع والشفاعة عند الله ، ويقول أبو حيان : " إنه استفهام وبَّخ به نفسه " ([1]) ، ويرى الزمخشري أنه نفي أو استفهام على وجه الإنكار ([2]) .

وعند رؤية الكافر أهوال القيامة ، وما ينتظره من عذاب ، يعض أصابعه ندما وحسرة على ما فاته من الطاعات والفضائل ، " **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** " (الفرقان : ٢٧) ، ويتمنى لو أنه اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وسلك معه طريق الحق ، وينادي ويلته وحسرته ، فهذا أوانها ، ويتمنى لو لم يتخذ خليلاً من الضالين " **يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** " (الفرقان ٢٨) ، وكنى بفلان عن اسمه ، يقول الزمخشري : " فلان كناية عن الأعلام ، وكل من اتخذ خليلاً ، كان له اسم فيذكره " ([3]) ويلقي اللوم على هذا الخليل الذي اتخذه مصاحباً له وأنه هو الذي أضله وزيَّن له الباطل ، وأبعده عن الذكر والعبادة " **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا** " (الفرقان : ٢٩) ، ويصل حنقه وغيظه على هذا الخليل الذي تبعه في الدنيا فأضله ، إلى أن يسميه شيطاناً ، فيتمنى لو أنه لم يصاحبه ، لما فيه من صفات الإغواء والتزيين ، وربما يكون قصد الشيطان على وجه الحقيقة ، يقول الزمخشري : " الشيطان إشارة إلى خليله ، سماه شيطاناً لأنه أضله كما يُضل الشيطان ،

([1]) البحر المحيط ٧ : ٣١٩ .

([2]) انظر : الكشاف ٦ : ٢٠٠ .

([3]) الكشاف ٤ : ٣٤٦ .

ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة ، أو أراد إبليس ، وأنه هو الذي حمله على مُخالَّة المضل ، ومخالفة الرسول ، ثم خذله " ([1]) .

ويصف الله خروج الناس من قبورهم ، بأعداد كبيرة ، مسرعين ، ويعرف الكافرون ما يتوعدهم من حشر وتأنيب وحساب وعذاب ، فيقولون في أنفسهم : هذا يوم عسر ، وقد أضفى وصف المشهد الذي سبق كلامهم إيحاءً بما سيقولون " **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ، مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** " (القمر : ٧ – ٨) .

ولما ينظر الكافر إلى ما قدمت يداه من معاصٍ وآثام ، ويرى العذاب ينتظره ، يتمنى أنه لم يُخلَق ، ولم يُكَلَّف " **يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا** " (النبأ : ٤٠) .

وحين يرى الكافر أهوال القيامة ، ويتحقق مما طالما أنكره وكفر به ، فإنه يتذكر ما فرط به في الدنيا ، مبدياً ندمه وحسرته ، حين لا ينفع الندم ، ويتمنى لو أنه قدم شيئا من الطاعات ، ينتفع بها في هذا اليوم فيقول : "**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** " (الفجر : ٢٤) ، والمقصود بحياتي : الحياة الأخرى الباقية ، فما كانت الدنيا سوى رحلة عابرة فانية لا يبقى منها سوى ما يتزود به للآخرة ([2]) .

ويتعجب الإنسان مما يراه من زلزلة الأرض وإخراج أثقالها ، ويصيبه الخوف والقلق والترقب " **وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا** " (الزلزلة : ٣) ، والإنسان هنا هو الإنسان على الإطلاق ، دون تحديد كافر أو مؤمن ، وتقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : " فلأن تكون رجَّة الزلزلة ، وهول الموقف ، ما يروع الإنسان على الإطلاق كافراً كان أو مؤمناً ، أقوى من أن تقتصر الدهشة والعجب على الكافر وحده " ([3]) وتستأنس بقوله

([1]) المصدر السابق كتاب الكشاف ٤ : ٣٤٦ .

([2]) انظر : التفسير البياني للقرآن ٢ : ١٥٨ .

([3]) المرجع السابق ١ : ٨٦ .

تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** " (الحج : ١ – ٢) .

ثانياً : ملامح دلالية للحوار في مشاهد القيامة

تتجلى ظاهرة اكتساب الكلمة دلالة خاصة في مواضع معينة في القرآن الكريم ، ومن المألوف أن الكلمة التي تقع في سياق ما تحمل شحنات دلالية من شأنها أن تتفاعل مع مقتضيات السياق الدلالي ؛ إذ إن المعاني المعجمية للكلمة تقع في السياق الدلالي المناسب لها ، وقد أولى علماء العرب القدامى هذه القضية أهمية بالغة بدافع إظهار الإعجاز البياني للقرآن ، وتوضيح التلاؤم بين الألفاظ والمعاني ، وعلاقتهما بالسياق العام .

فقد عد الجاحظ تلاؤم الألفاظ مع المعاني ضرباً من النسيج ([1]) ، وأشار ابن طباطبا إلى أن اللفظة الواحدة تكتسب معناها من خلال سياقها الذي توضع فيه ([2]) ، أما الجرجاني واضع نظرية النظم فيرى أن التأليف هو ربط الألفاظ في سياق ، وهو الذي يحدث تناسق الدلالة ، ويبرز فيه المعنى على وجه يقتضيه العقل ، وربط الألفاظ في سياق يكون وليد الفكر ، الذي لا يضع لفظة إزاء أخرى ، لأنه يرى في اللفظة نفسها ميزة فارقة ، وإنما يحكم بوضعها ، لأن لها معنى ودلالة بحسب السياق ، يقول : "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وإنما الفضيلة وخلافها ، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها " ([3]) ، فالمعنى عند الجرجاني يكتسب من اقتران أجزاء الكلام بعضه ببعض ، بسبب ائتلاف الألفاظ وترتيبها ، بحيث تأخذ مكانها في النفس بشكل متكامل .

([1]) الحيوان ٣ : ١٣٢ .

([2]) انظر : عيار الشعر ١٤.

([3]) دلائل الإعجاز ٤٦ .

وأشار الخطابي إلى تلاؤم الألفاظ والمعاني في رسالته إعجاز القرآن ، وهو يرى أن إعجاز القرآن في تأليفه الذي يعرفه تعريفا مقاربا لتعريف الجرجاني ، ويقول في هذا المجال : " إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ومعنىً قائم ، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة ، ..... واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني " [1] .

أما حازم القرطاجني فقد أكد على هذه القضية ورسخها في مؤلفاته ، يقول : " والعبارة لا تسد مسد عبارة في حسن وقع ، وإن كان مفهومهما واحداً ، لأن إحداهما أليق بالموضع وأشدهما مناسبة " [2] .

ويشير الدكتور تمام حسان إلى أهمية المقام في فهم المعنى الدلالي ، يقول " ولا يزال السياق حتى بعد الوصول إلى المعنى اللفظي بحاجة إلى معنى المقام ، أي المعنى الاجتماعي الذي يضم القرائن الحالية إلى ما في السياق من قرائن مقالية ، وبهذا يتم الوصول على المعنى الدلالي " [3] .

وستعرض الباحثة في هذا الفصل بعضاً من نماذج تلاؤم الألفاظ والمعاني ، في حوارات مشاهد القيامة ، في محاولة لإبراز القوة الدلالية للفظة في إظهار المعنى المقصود ، من حيث كونها دلالة معجمية ، أو دلالة بعض الحروف والأدوات ، أو دلالة صرفية ، أو دلالة في تركيب الجملة وترتيبها ، من إضافة ، وتقديم وتأخير وغيرها من الدلالات .

وبما أن هذه الدراسة مقيدة بآيات الحوار في مشاهد القيامة ، وهي آيات محدودة ، فقد تَرِد الآية الواحدة أكثر من مرة ، وذلك لوجود أكثر من وجه بلاغي فيها .

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٢٧ .

(٢) منهاج البلغاء ١٦ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٤١ .

وقد انصبت هذه الدراسة على أكثر الألفاظ والمشاهد التي شكلت ملمحاً دلالياً ، وأشدها مساساً بمضامين القيامة ، وأكثرها خدمةً للغرض الديني .

١ . دلالة الألفاظ

ألفاظ القرآن كلها يلائم بعضها بعضاً ، ليس فيه لفظة نافرة عن أخواتها ، غير لائقة بمكانها ، وكلها موصوفة بحسن الجوار ، إذ تتضافر الألفاظ كلها لأداء المعنى المقصود ، بحيث يبلغ ائتلاف اللفظ مع المعنى منتهاه ، ولو استخدمت لفظة مكان لفظة لكانت غريبة مستهجنة ، وفي ما يأتي بعض من أمثلة دلالات الألفاظ :

- " **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** " (الأنعام : ٩٣) .

بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ

بسط اليد : يفيد الإيذاء بأنواعه كما يقول محمد رشيد رضا : " إن استعمال بسط اليد هو للإيذاء المطلق كما في الآية : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** " (الأنعام : ١١) أما إن أُريد بسط اليد بإيذاء معين فإنه يُذكَر، كما في قصة ابني آدم " **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ** " (المائدة : ٢٨) ، وأن أكثر الإيذاء العملي يكون بمد اليد " ([١])، فالكافرون يعانون شدة الموت وسكراته ، والملائكة باسطة أيديها بشتى ألوان العذاب ، ويتناسب هذا السياق مع قولهم : "**أخرجوا أنفسكم**" .

ومعنى أخرجوا أنفسكم أي خلصوها من أيدينا ، ولا تجدون سبيلاً للخلاص ، يقول القرطبي: " أي أخرجوها كرهاً ، وهو توبيخ لأن روح الكافر تنتزع انتزاعاً شديداً " ([٢]) وقد ورد في سورة الأنفال أن الكفار يُتَوَفَّون بالضرب والهوان : " **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ**

([١]) تفسير المنار ٧ : ٦٢٦ .

([٢]) الجامع لأحكام القرآن ٧ : ٤٢ .

كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ " (٥٠) ، وقال ابن كثير : " إن الكـافر إذا احتضر بشَّرته الملائكة بالعـذاب والنكـال والأغـلال والسلاسـل ، والجحـيم والحمـيم ، وغَضَب الرحمن ، فتتفرق روحه في جسـده ، وتـأبى الخـروج ، فتضـربهم الملائكـة حتـى تُخرِج أرواحهم ، من أجسادهم قائلين : " **أخرجوا أنفسكم** " ([1]) وتنسـجم هـذه الأقـوال مع بسط اليد وهو الإيذاء المطلق .

-" **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّـهُ لاَ يُفْلِـحُ الظَّـالِمُونَ ، وَيَـوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** " (الأنعام :٢١ ، ٢٣) .

تَزْعُمُونَ

يقول القرطبي في معنى تزعمون: " وقال ابن عباس كل زعم في القرآن فهو كـذب " ([2]) وقال الراغب : " هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ، ولهذا جاء في القرآن في كل موقـع ذُمَّ فيه القائلون "([3]) ، والشركاء غائبون في هذا المشهد ، والإجابة كانـت مـن المشـركين ، وقد تقدم ما يوحي بكذبهم فاضطروا للقسم ، مع علمهـم بكـذبهم "**وَاللّـهِ رَبِّنَـا مَـا كُنَّـا مُشْرِكِينَ**" (الأنعام : ٢٣) ، وهذا يعكس الهول والفزع الذي يملأ قلوبهم .

- " **وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَـذَابَ بِمَـا كُنـتُمْ تَكْسِبُونَ** " (الأعراف : ٣٩) .

([1]) مختصر تفسير ابن كثير ١ : ٦٠٠ .

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٤٠١ .

([3]) المفردات : مادة زعم .

فَذُوقُواْ

الذوق : وجود الطعم في الفم ، وأصله فيما يقل تناوله بطرف اللسان من المأكول والمشروب ، دون ما يكثر ؛ فإن ما يكثر منه يقال له الأكل ، وكثر استعماله في القرآن في العذاب : " **هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** " (ص : ٥٧) ، و " **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** " (الدخان : ٤٩) ، " **وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** " (السجدة : ٢٠) ، وذلك لأن الذوق وإن كان في المتعارف قليل ، فهو مستصلح للكثير فخصه الله ليعمَّ الأمرين معاً (1) .

وناسب حسن النظم القرآني الائتلاف والملاءمة بين لفظة "المس" و"الذوق" في الآية : " **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ** " (القمر : ٤٨) ، فالإذاقة هي أول ملاقاة المطعوم اللسان ، والمس هو أول ملاقاة الجسم للنار ، ولعل المقصود أن إذاقة مس النار كافية في الإيلام ، فما بالك بدخولها والمكث فيها ؟ (2) ، وذلك ما لا يستطيع عقل تصوره .

-" **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** " (الأعراف : ٥٠) .

أَفِيضُواْ

يقول أبو حيان : " أفيضوا أمكن من اسقونا ، لأنها تقتضي التوسعة " (3) ، ويقول ابن منظور : " فاضَ الماء والمطرُ والخيرُ إذا كثر ، ونهرٌ فَيّاضٌ أي كثير الماء " (4) وسؤالهم الماء بهذه الشدة يتناسب مع شدة التهابهم واحتراقهم .

---

(1) انظر المصدر السابق كتاب المفردات: مادة ذوق .

(2) انظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ : ٤٤٦ .

(3) البحر المحيط ٤ : ٣٠٧ .

(4) لسان العرب : مادة فيض .

- " **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** " (الزمر : ٦٨) .

فَصَعِقَ

قال الراغب : صعق على ثلاثة أوجه : " الموت ، والعذاب ، والنار ، وهي أشياء حاصلة من الصاعقة ، وهي الصوت الشديد في الجو ، ثم يكون منه نار فقط ، أو عذاب ، أو موت ، وهي في ذاتها شيء واحد ، وهذه الأشياء تأثيرات منها " ([1]) ، وقال ابن منظور : صَعِقَ : " غُشِيَ عليه ، وذهب عقله من صوت يسمعه كالهَدَّة الشديدة ، والصاعِقة الصوتُ الشديد من الرعدة يسقط معها قطْعةُ نار " ([2]) ، وترى الباحثة أن اختيار هذه اللفظة تحديداً في هذا السياق له مدلوله ، وهو أنَّ الموت هنا ليس موتاً عادياً ؛ فهو يجمع هذه المعاني كلها ، فهذه النفخة تحدث صوتاً شديداً في الجو ، تتحصل منها النار والعذاب ، وينتهي بالموت .

-" **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** " (الزمر : ٧١) .

يَوْمِكُمْ

يقول الزمخشري: " إن ذكر الأيام يأتي مستفيضاً في وصف الشدائد " ([3]) ولا يمر على الكافر أشد من هذه اللحظات التي يتقرر فيها مصيره الأبدي .

والمقصود بأيام العرب الحروب والوقائع ، فقد عُرِف عند العرب أيام كثيرة منها يوم الصفقة ويوم جديس ([4]) ، يقول الشاعر :

سائل تميماً به أيام صفقتهم　　لما أتوه أسارى كلُّهم ضَرَعا ([5])

([1]) المفردات : مادة صعق .

([2]) لسان العرب : مادة صعق .

([3]) انظر : الكشاف ٥ : ٣٢٥ .

([4]) يوم الصفقة حرب بين الفرس وبني تميم في اليمن . انظر أيام العرب في الجاهلية ٢ . ويوم جديس حرب بين قبيلة جديس وقبيلة طسم ، وهما من القبائل العربية البائدة . انظر : أيام العرب في الجاهلية ٣٩٦ .

([5]) البيت للأعشى في ديوانه ٨٧ .

وتعبر العرب بالأيام عن الشدائد .

- " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا " (الفرقان : ١٧ – ١٨) .

هَؤُلَاء

جاء اسم الإشارة "هؤلاء" فيه دلالة أن هذا الحوار كان بمحضر من المشركين ، وأنهم يسمعون السؤال والجواب ، فلا يملكون التكذيب أو الإنكار ، والغاية من السؤال أصلاً توبيخ المشركين وتأنيبهم ، وقد أنكر الشركاء إضلالهم ، فكان سماع الإنكار ، أقوى في التوبيخ ، وأبلغ في التكذيب لا سيما أن الشركاء لم يكتفوا بالإنكار ، وإنما ساهموا في توبيخ المشركين على مسمع منهم ، وذكروهم بنعم الله تعالى عليهم ، وأنهم لم يشكروه عليها بل كانت صارفةً لهم عن عبادته ، بسبب غرقهم في متع الحياة وشهواتها ، فكانت النتيجة هلاكهم يوم القيامة .

- " وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا " (الكهف : ٥٢) .

مَّوْبِقًا

اختلف المفسرون في معنى الموبق ؛ فمنهم من قال إنه الهلاك ، وقال بعضهم إنه وادٍ في جهنم يفصل بين المؤمنين والمشركين ، وقال بعضهم إنه يفصل بين المشركين وشركائهم ، وفسره بعضهم بالموعد ، وقال آخرون العداوة ([1]) ، وقال الراغب : وَبِقَ إذا تَثَبَّط فهلك ، قال تعالى : " **أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا** " (الشورى : ٣٤) أي يهلكهن([2]) وقال الفراء : " أي جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً " ([3]) ، ولعل المعنى على الهلاك أرجح ، أي

([1]) انظر : أضواء البيان ٤ : ١٦٣ ، ١٦٦ .

([2]) انظر المفردات : مادة وبق .

([3]) معاني القرآن ٢ : ١٤٧ .

هلاك ما كان بين المشركين وشركائهم من الوصل والمحبة وأمل الشفاعة والنفع ، وهذا محور المساءلة وهو ما أراد الله أن يخبرنا به من انقطاع الصلة بين المشركين والشركاء في هذا الموقف ، فهم لا ينفعونهم في الآخرة ، كما لم ينفعوهم في الدنيا ، ويؤكد هذا المعنى قوله : " **لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " (الأنعام : ٩٤) وقوله : " **فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ** " (يونس : ٢٨) ، فكل المشاهد التي يسأل الله فيها عن الشركاء تؤكد هذه الحقيقة ، وهي المحور الذي يدور حوله المشهد ، والخطاب في هذه الحوارات مُوَجَّهٌ للمشركين في الدنيا ، وهو دعوةٌ لترك الشرك ، والتوجه إلى الله في العبادة ، ويسقط الله هذه المعاني على ألسنة المتحاورين ، ويصف لنا مشهداً متكاملاً حياً لما يعتور نفوسهم ، وذلك لنبذ الشرك بكل ألوانه .

- " **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ** " (فصلت : ٤٧) .

آذَنَّاكَ

آذناك أي أعلمناك ، يقول الشاعر :

آذَنَتْنَا بِبَينِـهَا أَسْـماءُ　　　رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ ([1])

أي أعلمتنا بفراقها .

والمعنى في الآية : ما منا من يشهد بالشراكة ويُقِرُّ بها ، ويقول الراغب : ويستعمل الإيذان في العلم الذي يُتوصَّلُ إليه بالسماع ، إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا ([2]) . وقال ابن فارس : "الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى ، مساعدان في اللفظ ، أذن : كل ذي أذن ، والآخر العلم ، وعنهما يتفرع الباب كله ، فأما التقارب ؛ فبالأذن يقع علم

([1]) البيت للحارث بن حلزة في ديوانه ١٩ .

([2]) انظر المفردات : مادة أذن .

كل مسموع " ([1]) ، والمؤذن هو كل من يُعلم بشيء نداءً : " **ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** " (يوسف : ٧٠) ، وقال أبو حيان إن ابن عباس فسرها على أسمعناك ، كأنه استبعد الإعلام لله ؛ لأن أهل القيامة يعلمون أن الله يعلم الأشياء علماً واجباً ؛ فالإعلام في حقه مُحال ([2]) ، ولعل في اختيار هذه اللفظة دلالة الجهر بما قالوا ، للعلم والإعلان بإقرارهم ، والتأكيد عليه ، طلباً للنجاة ، وأن مجيء الفعل بصيغة الماضي يعني أن جوابهم قد قيل قبل ذلك ، فيكون سؤالهم زيادةً في توبيخهم وتقريعهم .

- " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " (فاطر : ٣٧) .

النَّذِيرُ

في الآية استفهام تقريري مفاده : لقد عمرناكم في الدنيا ، ومكناكم فيها ، ما لو أردتم أن تؤمنوا لآمنتم ، واختلف المفسرون في معنى "**وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ**" ، فمنهم من قال الشيب ، وقال آخرون موت الأهل والأقارب ، وفسره بعضهم بالأنبياء والرسل ([3]) ، وترى الباحثة أن النذير هنا أعم وأشمل من أن يُحصر في معنى محدود ، وأنه كل ما يُذكِّر بآيات الله تعالى وينذر غضبه وعقابه ، من آيات في الكون والإنسان ورسل وكتب سماوية ، وغيرها من الدلائل والآيات ، ويؤكد هذا الرأي قوله : "**مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ**" فهذه الآيات موجودة يراها الإنسان كل يوم وفي كل ناحية ، لمن أراد أن يتذكر أو يتعظ ، ويتناسب هذا مع قوله "**نُعَمِّرْكُم** " ، أي النذر كانت على مدى طويل من العمر ، ولكن الكافرين ظلموا أنفسهم ، ولم يتعظوا بهذه الآيات والنذر فاستحقوا عذاب الله ، ولن يجدوا من ينصرهم ، أو يُغيثهم .

- " **وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ** " (ق : ٢٣) .

([1]) مقاييس اللغة : مادة أذن .

([2]) انظر : البحر المحيط ٧ : ٤٨٢ .

([3]) انظر : البحر المحيط ٧ : ٣٠٢ . والكشاف ٥ : ١٥٩ .

عَتِيدٌ

والعتاد : " ادخار الشيء قبل الحاجة إليه " ([1]) ، فكأن الشيطان ادخر الكافر لهذا اليوم بإغوائه له وتزيينه المعاصي ، تصديقاً لوعده الله " **ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** " (الأعراف : ١٧) ويرى الزمخشري أن القرين هو الشيطان الذي قُيِّض للإنسان في الدنيا ، أي يقول الشيطان : هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم ، أَعْتَدْتُه وهيأته لها بإغوائي وإضلالي له ([2]) ، ويرى أبو حيان أن القرين هنا هو الملك الموكل بكتابة السيئات ، فيكون معنى عتيد : أي حاضر ومهيأ للعرض ([3]) ، وترجح الباحثة رأي الزمخشري، إذ إن المشهد في هذه الآيات يوضح الصراع بين الشيطان والإنسان ، وتجسد لفظة "عتيد" هذا الصراع ففي بداية المشهد قدم الشيطانُ الإنسانَ أمام الله معترفاً بأنه أعده وهيأه عتاداً لهذا اليوم ، ثم تبَرَّأَ منه ، وقال إنه كان في ضلال بعيد ، لاتباعه إغواءه " **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** " (ق : ٢٧) ، وهذا يضع الإنسان موضع الاختيار بين أن يكون فريسةً لحبائل الشيطان ومكائده ، أو أن يهزمه ، ويقهره باتباعه طريق الحق .

---

(١) المفردات : مادة عتد .

(٢) انظر : الكشاف ٥ : ٥٩٩ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٨ : ١٢٥ .

- " هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ " (ص : ٥٩) .

مُّقْتَحِمٌ

يستاء الطاغون من أن يجمعهم بأتباعهم مكان ، وأن يتساووا معهم في العذاب فيقولون هذا الكلام ، والاقتحام هو " توسط الشدة المخيفة والدخول فيها " (١) ، وهي لفظة توحي بالضيق والشدة والازدحام ، ونلاحظ الدقة في اختيار الألفاظ وتلاؤمها في السياق ، فالاقتحام يوحي بالشدة والضيق ، والرحب هو السعة في المكان (٢) ، ولا مرحباً : أي ما أتيتم رحباً ولا سعة ، استزادة لهم من الضيق الذي هم فيه أصلاً .

٢ . دلالات الحروف والأدوات

للحروف والأدوات في اللغة العربية معانٍ تؤديها في سياقها ، تستفاد من التركيب والائتلاف بين الألفاظ ، إضافة إلى الدلالة المعجمية للحرف أو الأداة ، وقد عني علماء العربية بهذا الباب عناية فائقة ، وأولوه اهتماما كبيراً ، فقد أفرد سيبويه في كتابه باباً خاصاً سماه " باب عِدَّة ما عليه الكلم " قال في بدايته : " وأقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد . وسأكتب لك ما جاء على حرفٍ بمعناه إن شاء الله " (٣) .

وأفرد السيوطي الباب الأربعين من الجزء الأول من كتابه الإتقان في علوم القرآن للحديث عن الحروف والأدوات ، يقول : " اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها " (٤) .

أما الزجاجي فقد أفرد كتاباً خاصاً بالحروف والأدوات سماه "حروف المعاني" استشعاراً منه بأهمية هذا الباب وتعميق البحث فيه ، يقول : " فإن سألتني أن أضع لك كتاباً ،

---

(١) المفردات : مادة قحم .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٢٣٢ .

(٣) الكتاب ١ : ٢١٦ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١ : ٤٢٤ .

أشرح لك فيه جميع معاني الحروف وعلى كم وجه يتصرف الحرف منها فأجبتك إليه " ([1]) ، وتوالت عناية العلماء بهذا الباب ، وكثرت فيه المصنفات .

وستعرض الباحثة في هذا الموضع جملةً من الحروف والأدوات الواردة في حوارات مشاهد القيامة ، مبرزة معانيها ودورها في إبراز المعاني المقصودة .

- " **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** " (النحل : ٢٨) .

بَلَى

ينفي الكفار أنهم كانوا يعملون السوء والظلم والفساد ، فترد عليهم الملائكة "بلى" وهو حرف جواب للنفي ، أي بلى عملتم ، فلما نفوا اقترافهم السيئات كذّبتهم الملائكة ، وفي رد الملائكة تبكيت لهم ، ويقول ابن هشام في بلى إنه حرف جواب يختص بالنفي ويفيد إبطاله ، سواء كان النفي مجرداً ، أو مقروناً بالاستفهام ([2]) .

وقد تأتي "بلى" جواباً لنفي ضمني كما في قوله : " **بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ** " (الزمر : ٥٩) ، فقد جاءت هذه الآية رداً على قول الكافر يوم القيامة : " **لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** " (الزمر : ٥٧) ، فقد جاءت بلى جواباً على الجملة الشرطية ، لأنها تضمنت معنى النفي ؛ فكأن الكافر قال : ما هُديت ([3]) .

وقد يُذكر الفعل بعد "بلى" كقوله : " **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ** " (الملك : ٨ – ٩) ، وقد يُحذف الفعل كقوله : " **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا**

([1]) حروف المعاني ٢١ .

([2]) انظر : مغني اللبيب ٢ : ١٩٢ .

([3]) انظر : الكشاف ٥ : ٣١٦ .

بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ " (الزمر ٧١) أي بلى أتانا رسل . وقد يكون المحذوف بعد بلى جملة اسمية كقوله : " **يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** " (الأحقاف : ٣٤) أي بلى هو الحق ، وقوله : " **يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** " (الحديد : ١٤) أي بلى كنتم معنا .

- " **حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** " (المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠).

كلا

إذا أيقن الكافر بالموت واطلع على حقيقة الأمر ، أدركته الحسرة على ما فرَّط فيه من الإيمان والعمل الصالح ، وتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، حتى يعمل صالحاً ، ويتدارك ما فاته ، فيرد الله على كلامه بالنفي ، و"كلا" : للردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ، وهي للردع والزجر والوعيد ، وقد وردت في ثلاثة وثلاثين موضعاً من خمس عشرة سورة كلها في السور المكية ، لأن معناها الوعيد ؛ فلم تنزل إلا في مكة وعيداً للكفار (١) .

ويقول السيوطي : " وحتى قال جماعة منهم متى سمعت "كلا" في سورة ، فاحكم بأنها مكية ؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد ، وأكثر ما نزل ذلك بمكة ، لأن أكثر العتو كان فيها " (٢) .

---

(١) انظر : دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ٣٨٠ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١ : ٤٩٤ .

-" **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** " (المنافقون : ١٠).

لولا

يقول القرطبي : " لولا أي هلا فيكون استفهاماً و "لا" صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي هلا أخرت موتي إلى زمن قريب ([١]) . ودخول لولا على الفعل الماضي " أخرتني" أضاف معنى التندم يقول السكاكي : " وكأن الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي هلا ، وألا ولولا ، ولوما ، مأخوذة منهما مركبة مع "لا" و "ما" المزيدتين ، مطلوباً بالتزام التركيب التنبيه على إلزام "هل" و "لو" معنى التمني ؛ فإذا قيل هلا أكرمت زيداً أو "ألا" بقلب الهاء همزة أو "لولا" أو "لوما" فكان المعنى ليتك أكرمت زيداً متولداً معه معنى التنديم ، وإذا قيل : هلا تكرم زيداً كان معناه ليتك تكرمه متولداً معه معنى السؤال " ([٢]) .

أما عن علة نصب "فَأَصَّدَّقَ" فيقول أبو حيان إنها منصوبة على جواب الرّغبة ([٣]) ، "وَأَكُنْ" مجزومة بالعطف على محل "فَأَصَّدَّقَ" ، كأنه قال : إن أخرتني أصدقْ وأكنْ .

وقد تأتي "لولا" حرف شرط يفيد امتناعاً لوجود كقوله : " **يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ** " (سبأ : ٣١) ، فقد امتنع إيمان المستضعفين لوجود المستكبرين وفق اعتقادهم .

-" **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** " (المنافقون : ١١)

لَن

وعندما يتمنى العاصي التأخير ليؤدي حق الله في الزكاة والصدقة ، يأتي الجواب من الله ، ولكنه جاء على صيغة جواب عام ، وقاعدة إلهية ، نفى فيها التأخير: " **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا** " أي لا سبيل إلى التأخير ، ويرى الزمخشري : أن "لن" لتأكيد ما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ : ٥٠٨ .

(٢) الحاشية على المطول ٢٥٢ .

(٣) أي بعد فاء السببية بان مضمرة مسبوقة بالتمني ، انظر : البحر المحيط ٨ ٢٧٠ .

تعطيه "لا" من نفي المستقبل ([1]) ، وقال السيوطي ([2]) نقلاً عن الزمخشري أنها تُفيد تأبيد النفي ، فقولك "لن أفعله" ، كقولك "لا أفعله أبداً" ، ورد كلامه بعض النحاة من أنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في الآية : " **لَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** " (مريم : ٢٦) ، ويرى ابن القيم في معنى حرف النفي "لن" أنها تنفي ما قَرُب ، ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداده في "لا" ([3]) ، وأنها تفيد التأبيد ، ولكنه أضاف أن التأبيد على نوعين : مطلق ومقيد حتى يُخَرِّج معنى تأبيد النفي في سورة مريم ؛ فقال إنه مقيد باليوم ([4]) ، ولعل الله قصَّرَ من سعة النفي في قوله : " **ولن يُؤخر** " وذلك لوجود حرف الشرط "إذا" ، أي إذا جاء أجلها فستموت دون تأخير ، استناداً إلى التأبيد المقيد في رأي ابن القيم .

- **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " (الأنعام : ٢١) .

أَيْنَ

أين يُسأل بها عن غير الحاضر، فيكون التقدير أين نفعهم وشفاعتهم ؟ أو أنهم بمنزلة الغُيَّب لعدم تحقق ما رَجَوْا منهم من الشفاعة ، والقصد من السؤال توبيخهم وتقريعهم وقال الزمخشري : " ويجوز أنهم يشاهدونهم ، إلا أنهم حين لا ينفعونهم ، ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة ، فكأنهم غُيَّب عنهم " ([5]) ، وترى الباحثة أن السؤال للتقريع والتبكيت ، سواء شاهدوا الشركاء أو غابوا عنهم ، فهم لا ينفعونهم وإن كانوا حاضرين ، فيكون السؤال عن النفع والشفاعة .

([1]) الكشاف ٢ : ٥٠٤ .

([2]) انظر : همع الهوامع ٢ : ٢٨٦ .

([3]) يقول ابن القيم : " وتامل حرف لا كيف تجدها : لاما بعدها ألف ، يمتد بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النفس ، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها ولن بعكس ذلك " . بدائع الفوائد ١ : ١٦٦ .

([4]) انظر : المصدر السابق ١٦٧ .

([5]) الكشاف ٢ : ٣٣٢ .

- "**هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ، قالوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ**" (ص : ٥٩ – ٦٠) .

بَلْ

في قولهم "بل" إبطال لما قاله الرؤساء ، وإثبات قول الأتباع ، وعللوا ذلك بأنهم أي الرؤساء سبب في دخولهم النار ، بما زينوا لهم من المعاصي ، ويرى ابن هشام أن بل إذا دخلت على جملة فهي تفيد الإبطال ؛ أي إبطال حكم متقدم ، وإثبات حكم متأخر([1]) .

كما في قوله : "**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا**" (سبأ : ٣٢ – ٣٣) .

فقد أبطل المستكبرون أن يكونوا هم الصادين للضعفاء عن الإيمان ، وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه ، ومنعوا أنفسهم حظها من الإيمان فكانوا مجرمين .

أما الضعفاء ، فأبطلوا إثبات حكم المستكبرين بحكم آخر ، كأنهم قالوا : ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم وتسويلكم لنا بالليل والنهار .

وقد تأتي بل بعد الجمل للإضراب الانتقالي ، وهو الانتقال من خبر إلى خبر آخر من غير إبطال الأول ([2]) كقوله : "**وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**" الأنعام : ٢٧ – ٢٨) .

([1]). انظر : مغني اللبيب ٢ : ١٨٤ .

([2]) انظر : الإتقان في علوم القرآن ١ : ٤٦٤ .

- **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ، قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** " (المؤمنون : ١٠٧ – ١٠٨) .

فِيهَا

"خسأ" لفظة تقال في زجر الكلاب ، يقول الراغب : خسأتُ الكلب مستهيناً به ([١]) ، وفي استخدام حرف الجر "فيها" إفادة الظرفية المكانية أي في جهنم ، وهو دلالة على التمكن ، أي أن الزجر والاستخفاف متمكن في جهنم ؛ فجمع بين العذاب المعنوي بالزجر والاستخفاف ، والعذاب الحسي في التمكن في جهنم .

-" **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي** " (الفجر : ٢٧ ، ٣٠) .

فاء التعقيب

يرى الرازي أن الدخول في زمرة العباد الصالحين ، من السعادة الروحانية ، أما الدخول في الجنة فهو من السعادة الجسمانية ، يقول : " ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عند الموت ، في حق السعداء لا جرم ، قال : "فَادْخُلِي فِي عِبَادِي" بفاء التعقيب ، ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها إلا بعد قيام القيامة الكبرى ، لا جرم ، قال : "وَادْخُلِي جَنَّتِي" فذكره بالواو لا بالفاء ([٢]) .

٣ . دلالة الإضافة

الإضافة : نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر ، ويكون الجر بتقدير حرف مناسب لمعنى الإضافة ، كاللام للاختصاص ، ومن للبعضية ، ومنه إضافة العدد إلى المعدود ، وفي للظرفية ([٣]) ، وللإضافة دلالات بلاغية تُفهم من السياق وتلاؤم الكلمات .

---

(١) انظر المفردات : مادة خسأ .

(٢) يسألونك عن الروح ٦٦ .

(٣) انظر : همع الهوامع ٢ : ٤١١ .

وفيما يأتي نماذج من الإضافة البلاغية في حوارات مشاهد القيامة :

- " **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** " (الأنعام : ٩٣) .

عَذَابَ الْهُونِ

أضاف العذاب إلى الهون لاتصافه به ، لأن التنكيل قد يكون على سبيل الزجر والتأديب ولا هوان فيه ، وقد يكون على سبيل الهوان ، وتنبه الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى الفروق بين صيغ المصادر المشتقة من الفعل هون ، فتقول : " الهَون بالفتح : للسهولة واليسر ، والهُوينى : للسير على مهل ، والاستهانة : التساهل ، والتهاون : التفريط والهُون بالضم للخزي " ([1]) .

- " **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ** " (النحل : ٢٧) .

شُرَكَآئِيَ

ليس المقصود أنهم شركاء الله في قوله " شُرَكَآئِيَ " ، وإنما أضاف الشركاء إليه للاستهزاء ، والإضافة تكون لأدنى ملابسة ، والمعنى شركائي في زعمكم ([2]) ، والإضافة لأدنى ملابسة كقوله: " **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** " (النازعات : ٤٦) ، فلما كانت العشية والضحى طرفي النهار ، صحت إضافة إحداهما إلى الأخرى ([3]) ، يقول البغدادي : " والإضافة لأدنى ملابسة من قبيل المجاز اللغوي عند السيد ، ومن المجاز

([1]) الإعجاز البياني للقرآن ٤١٨ .

([2]) انظر : البحر المحيط ٥ : ٤٧١ .

([3]) انظر : همع الهوامع ٢ : ٤١١ .

العقلي عند التفتازاني (1) ، قال السيد في شرح المفتاح في بيان الإضافة لأدنى ملابسة : " الهيئة التركيبية للإضافة موضوعة للاختصاص الكامل المصحح لأن يُخبر عن المضاف بأنه للمضاف إليه ، فإذا استعملت في أدنى ملابسة كانت مجازاً لغوياً لا حكمياً (2) ، كما تُوهِّم ؛ لأن المجاز في الحكم إنما يكون بصرف النسبة عن محلها الأصلي ، إلى محل آخر لأجل الملابسة بين المحلين " (3) .

-" قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ " (المؤمنون : ١١٢ - ١١٣) .

عَدَدَ سِنِينَ

الغرض من الإضافة في " **عَدَدَ سِنِينَ** " التبكيت والتوبيخ ، فقد كانوا ينكرون البعث أصلاً ، لذلك أخلدوا إلى الدنيا ، واطمأنوا إليها ، وجاءت صيغة السؤال تنبيهاً لهم على أن ما ظنوه دائماً وطويلاً ، فهو قصير لا يكاد يُعَد ، وما أنكروه من البعث والعذاب فهو خالدٌ أبديّ ، أما وقد بُعِثُوا وأُدخلوا النار ، وأيقنوا أنهم خالدون فيها ، فاستقصروا مدة لبثهم في الدنيا ، وتخيلوا أنها يوم أو بعض يوم ، وذلك قياساً على خلودهم في النار ، وهنا تتحصل لهم الحسرة والندم على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا ، ويؤكد هذا المعنى ، أن الله سألهم عن المدة بالسنين استهزاءً بهم ، وقد جاءت إجابتهم باليوم ، أو بجزء منه ، فهم يشكُّون (4) أهو يوم ؟ ، أو أنه لا يمتد ليكمل هذا اليوم ؟

---

(1) السيد هو علي بن محمد بن علي الجرجاني ، المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، وهو صاحب التعريفات ، وله حاشية على شرح الرضي للكافية ، وأما التفتازاني فهو سعد الدين مسعود بن عمر ، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ انظر : خزانة الأدب ١ : ٣ .

(2) انظر تعريف المجاز اللغوي والحكمي في قسم المجاز في هذه الدراسة .

(3) خزانة الأدب ٣ : ١١٢ .

(4) يقول ابن هشام في معنى "أو" في هذه الآية إنها تفيد الشك أي الإخبار بأحد الشيئين ولا يعرفه بعينه . انظر : مغني اللبيب ١ : ٣٩٨ .

- " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ " (ق : ٢٠) .

يَوْمُ الْوَعِيدِ

أضاف اليوم للوعيد ، يقول ابن فارس : "وأما الوعيد فلا يكون إلا بِشَرٍّ " ([١]) ، وقد سبق الحديث عن دلالة استعمال كلمة "اليوم" للشدائد ، فأضاف الوعيد إليها للمبالغة في التخويف والتهويل .

- " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي " (الفجر : ٢٧ ، ٣٠) .

عِبَادِي ، جَنَّتِي

أضاف لفظتي العباد والجنة له ، تكريما وتشريفاً للمؤمنين ، أي ادخلي في جملة عبادي الصالحين الذين اصطفيتهم ، وادخلي جنتي حيث النعيم المقيم ، ورضوان الرب الرحيم ، ولم يذكر شيئاً من صفات الجنة وما أعده لعباده في هذا الموضع ، واكتفى بإضافة الجنة له ، وترك للخيال أن يرسم صورة للنعيم فيها .

- " أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ " (المؤمنون : ١٠٥) .

آيَاتِي

الإضافة هنا للتعظيم ؛ فليس أعظم وأجل من آيات الله تعالى ، والمقصود بالآيات في هذا الموضع القرآن الكريم والكتب السماوية ، بدلالة "تتلى" فالتلاوة كما يقول الراغب تختص باتباع كتب الله المنزلة ([٢]) ، ففي إضافة الآيات إلى الله دلالة على التعظيم للقرآن والكتب السماوية ، وفي الوقت نفسه فيها إظهار لعناد الكافرين وتعنتهم ، فقد كذبوا بها رغم عظمتها .

---

(١) مقاييس اللغة : مادة وعد .

(٢) انظر المفردات : مادة تلى .

٤ . دلالة الحذف

الحذف هو إسقاط جزء من الكلام أو كله ، ويشترط وجود دليل عليه ، أو قرينة حتى لا يكون الكلام ضرباً من التعمية والغموض ، وهو فن عظيم من فنون القول ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعنى ، يقول الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ " (1) .

وفيما يأتي بعض مواضع الحذف في حوارات مشاهد القيامة :

- " **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** " (المؤمنون : ١١٥– ١١٦) .

يُذَكِّر الله الكافرين بإنكارهم البعث ، وتعلقهم بالحياة الدنيا ، وكأن الله خلقهم بلا غاية أو حكمة ، وينزه الله نفسه عن هذا الأمر " **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** " ، فما خلق الناس إلا لحكمة اقتضت ذلك ، وهي تكليفهم بالطاعات ، وترك المعاصي ، ثم إرجاعهم إليه ، ليُثيب المحسن ، ويُعاقب المُسيء ، وحذف الفاعل في تُرْجَعُونَ ، وبنى الفعل للمجهول ، وهي ظاهرة مطردة في الأفعال الخاصة بيوم القيامة ، كقوله تعالى : " **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ** " (ق : ٢٠) ، وقوله : " **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ** " (ق : ٣١) ، وقوله : " **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** " (الزلزلة : ١) و تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن فيها : " إن أساليب القرآن والمطاوعة والإسناد المجازي تلتقي جميعاً في الاستغناء عن ذكر الفاعل ، واطراد هذه الظاهرة في موقف البعث والقيامة ينبه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة وإجراءات الإعراب الشكلية ، فبناء الفعل للمجهول فيه تركيز على الحدث بصرف النظر عن محدثه ، والمطاوعة فيها بيان للطواعية التي يتم فيها الحدث

---

(1) دلائل الإعجاز ١٤٦ .

تلقائياً ، أو على وجه التسخير ، وكأنه ليس بحاجة إلى فاعل " ([1]) ، وترى الباحثة أن في تقديم الجار والمجرور "إلينا" ما يؤكد هذا الرأي ؛ فالرجوع حاصل لا محالة ، وهو رجوع إلى الله ليحكم بين الناس بالعدل ، ويوفي كل ذي حق حقه من الثواب أو العقاب .

ويقول الزركشي في هذه الظاهرة ، في تعليقه على الآية : " **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ** " (إبراهيم :٢٢) " قُضي الأمر : أي هلك من قُضِيَ هلاكه ، ونجا من قدرت نجاته ، وإنما عدل عن لفظه إلى التمثيل لأمرين : اختصار اللفظ ، وكون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ؛ إذ الأمر يستدعي آمراً ومطاعاً ، وقضاؤه يدل على قدرته " ([2]) .

- " **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** " (الأعراف : ٤٤) .

في الآية حذف تقديره : فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ، ويقول الزمخشري فيه : " حذف تخفيفاً لدلالة "وَعَدَنا" عليه ، وأطلقَ ، ليتناول كل ما وعد الله به ، من البعث والحساب والثواب والعقاب ، وسائر أحوال القيامة ، لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ، ولأن الموعود كله مما ساءهم ، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم " ([3]) .

فكان حذف المفعول في خطاب أهل النار شاملاً لكل أنواع العذاب الحسي والمعنوي بما فيه التحسر على ما فاتهم من نعيم أهل الجنة ، ولتكون إجابتهم "نعم" تصديقاً لجميع ما وعد الله بوقوعه ، وتعييراً لهم .

([1]) الإعجاز البياني للقرآن ٢٤٢ – ٢٤٣ .

([2]) البرهان ٣ : ٣٢١ .

([3]) الكشاف ٢ : ٤٤٥ .

-" **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ، وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** " (الأعراف : ٤٦ – ٤٧) .

تتحدث هذه الآية عن أهل الأعراف ، وقد ذكر المفسرون وجوهاً كثيرةً لأهل الأعراف ([١]) ، لكن الثابت هو أنهم رجال من أهل الجنة ، تأخر دخولهم إليها . والسياق يدل على سمو قدرهم ، لا سيما بجعل منازلهم الأعراف ، وهي الأماكن العالية ([٢]) .

وفي السياق دلالة على أن أكثر نظرهم إلى أهل الجنة ، فهم يعرفونهم بعلامات ميزهم الله بها ، فينادونهم ويسلمون عليهم ، في انتظار دخول الجنة ، أما النظر إلى أهل النار فهم محمولون عليه ، لما في عذابهم من مشاهد مخيفة تُفزع قلوبهم ، ولأن النظر إليهم نظر عداوة ، فلا ينظرون إلا أن تُصرَف وجوههم إليهم ، ويؤكد هذا التفسير ما جاء من كلامهم عند رؤيتهم لهم : " **رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** " ، وعلى هذا جاء حذف الفاعل في صُرفت .

-" **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** " (إبراهيم :٢٢) .

جاء كلام الشيطان جواباً عن سؤال أو طلب ، وكأن الضالين توجهوا له بطلب الشفاعة مقابل اتباعهم له ، فقال لهم : إن الله وعدكم وعد الحق ، وجاءكم بالخبر اليقين ، من البعث والجنة والنار ، ودخول أهل الجنة إلى الجنة ، ودخول أهل النار إلى النار ، وهو ما ترونه ماثلاً أمامكم الآن ، فقد قال هذا الكلام بعد انقضاء الأمر ، واستحقاق الثواب

---

(١) انظر مثلاً : الجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢١١ – ٢١٢ . والبحر المحيط ٤ : ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٢) انظر : محاسن التأويل ٧ : ٢٦٩٢ .

والعقاب كل على أهله ، أما أنا فقد وعدتكم فأخلفتكم ، وفي الآية حذف تقديره ووعدتكم وعد الباطل ، ولم يصرح ببطلانه ؛ لدلالة قوله فأخلفتكم ، يقول القاسمي : " وفي الآية من الإيجاز البليغ شبه الاحتباك [1] ، حيث حذف أولاً "**فوفى به**" لدلالة قوله بعده فأخلفتكم ، لأنه مقابله ، وحذف ثانياً وعد الباطل لدلالة وعد الحق عليه " [2] .

ويكون ذلك إقراراً من إبليس بخطيئته وأنهم مجتمعون في العذاب ، كما اجتمعوا في الضلالة ، وأنهم بذلك ظلموا أنفسهم ، فاستحقوا العذاب الأليم ، ويقول السيوطي : " انتزع بعضهم من هذا الكلام إبطال التقليد في الاعتقاد ، قال : وهو انتزاع حسن لأنهم اتبعوا الشيطان بمجرد دعواه ، ولم يطلبوا منه برهاناً ، فحكى الله قوله تقبيحا لذلك الفعل منهم " [3] .

- " **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** " (فصلت : ٢٠) .

المستفاد من سياق الآية أن فيها حذفاً تقديره : حتى إذا جاؤوها وسئلوا عما أجرموا ، فأنكروا ، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ، ويبدو أنهم بالغوا في إنكار المخالفة والمعاصي ، فيشهد سمعهم على معصيتهم ، من سماعهم للحق وإعراضهم عنه ، والاستئناس بسماع الباطل ، واستحسان سماع الفواحش ، ولا يخفى ما لهذا الحذف من التهويل والتخويف ، وإعظام الأمر في هذا المشهد .

فعند إنكارهم فعل هذه المعاصي يوم القيامة ، تشهد عليهم الجوارح والجلود ، فيتحصل عليهم الخزي والافتضاح أمام الخلائق على ألسنة جوارحهم ، فهم لم يتوقعوا هذا منهم ، وقد اطمأنوا إلى استتارهم إليهم في الدنيا ، فقد حذف الله إنكارهم ورغبتهم في الاستتار يوم القيامة ، وذكر ما هو أعظم ، وهو افتضاحهم على ألسنة جوارحهم وفيه دلالة أن الكافرين لا يملكون السيطرة على جوارحهم يوم القيامة ، وأن الله يجردهم منها ، فتصبح

([1]) وهو أن يُجمع في الكلام متقابلان ، فيُحذف من واحد منهما مقابله ، لدلالة الآخر عليه ، وسماه الزركشي الحذف المقابلي . وأورده الجرجاني باسم الاحتباك . انظر البرهان ٣ : ١٢٩ ، والتعريفات ١٠

([2]) محاسن التأويل ١٠ : ٣٧٢٤ .

([3]) الإكليل ١٣٥ .

من أعدائهم ، وتزيد من خزيهم وتظهر عيوبهم ، وتعلن معاصيهم أمام الخلائق .
- " **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " (الأنعام : ٢٢) .

يوم منصوبة بمضمر وذلك للتهويل والتخويف ، وعظم الأمر ، يقول الزمخشري : " العامل محذوف للتخويف والتهويل ، أي يوم نحشرهم يكون كيت وكيت "[1] وقال أبو حيان : "تقديره وليحذروا يوم نحشرهم " [2] .

- " **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** " (ق : ٢٠ ، ٢٢) .

قال يوم الوعيد للتخويف والتهويل ، وإن كان في الحقيقة هو يوم الوعد والوعيد ، فحذف الوعد لأن السياق يتحدث عن الكافرين الذين كانوا في غفلة من هذا اليوم ، فيناسبها ذكر الوعيد .

- " **وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** " (الأنعام : ٢٧) .

في الآية حذف ، في جملة الشرط حذف الجواب للتهويل والتخويف وتقديره : لرأيت أمراً شنيعاً [3] فجاء حذف الجواب للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ؛ فلا يُتَصور مكروهاً إلا هو دونه .

وفي جملة النداء حذف آخر تقديره : يا قوم ليتنا نرد ، حذف المنادى لضيق المقام ، إذ إن أهل النار في ضيق وفزع [4] .

([1]) الكشاف ٢ : ٣٣٢ .

([2]) انظر : البحر المحيط ٤ : ٩٨ .

([3]) الكشاف ٢ : ٣٣٥ .

([4]) انظر : الحذف البلاغي في القرآن ١٠٥ .

-" **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** " (الزمر : ٧١ ، ٧٣) .

مع أن الفعل كفر يتعدى إلى المفعول بنفسه أو بحرف الجر ، إلا أنه لم يذكر اسم الله مع طائفة الكافرين ، كما ذكره مع المتقين : " **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**" (الزمر : ٧٣) ، وذلك لأنها فئة كافرة لا تستحق أن يصحبها اسمه ، ولأن التقوى قمينة بان يُكرَم أصحابها باقترانها بمن اتُّقِيَ ، وليس كذلك الكفر فلم يقترن بالمكفور به ؛ فلم يقل كفروا ربهم أو كفروا بربهم ، وذلك للمقابلة بين أحوال المتقين وما يلاقونه من تشريف وتكريم ، وأحوال الكافرين وما يلاقونه من تحقير وإهانة . إضافة إلى أن لفظة "ربهم" لا تنسجم مع السوق إلى العذاب ؛ فالربوبية تعني الرعاية والرحمة ، وفيها دلالة على التكريم .

وجاء حذف الواو في الآية الأولى فخص مابعدها للشرط ، "**إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**" وذكر الواو في الآية الثانية فحمى ما بعدها أن يصبح جواباً للشرط "**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** ، والحذف في الأولى دل على أن أبواب جهنم فتحت حين جاؤوها ، لأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان ، وفتحت جوابها ، والذكر في الثانية دل على أن أبواب الجنة كانت مفتوحة قبل أن يأتوها ، فلماذا إذن كانت أبواب جهنم مغلقة ثم فتحت ؟ وأبواب الجنة مفتوحة قبل أن يأتوها ؟ والجواب لأن جهنم سجن ، والسجن ذلك شأنه حراس أشداء وأبواب موصدة ، والجنة دار كرامة وتشريف فاستعدت لاستقبالهم قبل وصولهم ([1]) ، وقال الزمخشري الواو في وفتحت أبوابها حالية أي جاؤوها وقد فتحت

([1]) انظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ :٢٨٤ .

أبوابها ([1]) ، وتضيف الباحثة أن في هـذا الموقـف تصـويراً للشـدة والرهبـة الـتي تصـيب الكفار ، لكونهم يجهلون مـا في جهـنم مـن العـذاب ، أمـا المتقـون فتسـودهم الطمأنينـة والسكينة ، فهم يرون نعيمها قبل وصـولها . كمـا أن في حـذف جـواب الشـرط تشـويقاً للمؤمنين ، إيذاناً بأن ما يجدونه عنـد مجيئهـا لا يتنـاهى ، فـلا يحـيط بـه وصـف ، وتـرك للنفوس تقدير ما شاءته ، ولا تبلغ كنهه ؛ لعظم ما أعد الله لعباده من النعيم المقيم .

- **" وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَـا مَـا لَـهُ مِـن نَّفَـادٍ ، هَـذَا وَإِنَّ لِلطَّـاغِينَ لَشَـرَّ مَـآبٍ ، جَهَـنَّمَ يَصْـلَوْنَهَا فَبِـئْسَ الْمِهَـادُ "** (ص : ٥٢ ، ٥٦) .

في الآية : " **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ** " حذف تقديره : هذا الأمر ، فلمـا فـرغ الله مـن ذكر ثواب أهل الجنة ، ذكر عقاب أهل النار ، فقال هذا ذكرٌ أو أمـرُ ، وانتقـل إلى الأمـر الآخر ، يقول الأشموني في التعليق على هذا الأسلوب : " وفصل بين ما قبله وما بعده ، إيذاناً بأن القصة قد تمت ، وأخذ في أخرى ، وهذا عند علماء البديع يسمى تخلصاً ، وهو الخروج من غرض إلى غرض آخر مناسب للأول " ([2]) .

- **" يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَـيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِم بُشْـرَاكُمُ الْيَـوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "** (الحديد : ١٢).

في الآية حذف تقديره بشراكم اليوم دخول جنات ، حذف المضـاف للعلـم بـه ، ولتتـوفر العناية بالمبشَّر به وهو الجنة ؛ إذ هو المقصود ([3]) .

يتبين مما سبق أن الحذف في الحوارات يحقق غايـات بلاغيـة عديـدة ، كالتنبيـه إلى المعـاني المقصودة ، وإتاحة الفرصة للقارئ أو المستمع أن يسـتنبط بنفسـه المحـذوف ، فتتضـاعف يقظته ، ويتجدد نشاطه في الفهم والتركيز .

([1]) الكشاف ٥ : ٣٢٥ .

([2]) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ٣٣٠ .

([3]) انظر : الحذف البلاغي في القرآن ٧٧ .

٥ . دلالة التقديم والتأخير

التقديم والتأخير سمة أسلوبية لها أثر كبير في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة ، من الملاءمة للمعاني المقصودة ، ومطابقتها للغاية منها ، وهو من أقدر الفنون على كشف خبايا النفوس ، وتطويع المعاني للاعتبارات المناسبة لمقتضى الحال .

وقد سماه ابن الأثير ما يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أُخِّر المقدم أو قُدِّم المؤخر لتغير المعنى ، وأشار إلى ما يختص بدرجة التقديم في الذكر ، لاختصاصه بما يوجب له ذلك [١] .

وفيما يأتي بعض مواضع التقديم والتأخير في حوارات القيامة :

-" **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** " (النحل : ٣٢) .

طيبين أي صالحي الأحوال ، مستعدين للموت ، والطيب الذي لا خُبثَ فيه ، وتسليم الملائكة عليهم تبشير بدخول الجنة[٢] ، ويؤكدون ذلك بقولهم ادخلوا الجنة ، ويرى ابن القيم أن السلام هنا من باب الدعاء ، ويقول في سر تقديمه : " تقديم اسم الدعاء على المسلم عليهم ، لأنه دعاء بخير ، والأحسن في دعاء الخير ، أن يُقَدَّم الدعاء على المدعو لهم كقوله تعالى : " **رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** " (هود : ٧٣) وقوله : " **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** " (الصافات : ١٠٩) وأما الدعاء بالشر ، فيُقدَّم فيه المدعو عليه على المدعو به غالباً ، كقوله تعالى لإبليس : " **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي** " (ص : ٧٨) وقوله : " **عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ** " (التوبة : ٩٨) وسر ذلك – والله أعلم – أن في الدعاء بالخير ، يُقَدَّم اسم الدعاء المحبوب الذي تشتهيه النفوس ، وتطلبه ، ويلذ للسمع لفظه ، فيبدأ السمع ذكر الاسم المحبوب المطلوب ، ويبدأ القلب تصوره ، فينفتح له القلب والسمع ، فيبقى السامع كالمنتظر لمن يحصل هذا ؟ وعلى من يحل ؟ فيأتي باسمه ، فيقول عليك أو لك ،

---

(١) انظر : المثل السائر ٢ : ٢١٧ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٦ : ٤٧٤ .

فيحصل له من السرور والفرح ما يبعث على التواد والتحاب والتراحم الذي هو مقصود السلام " ([1]) .

- " **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** " (الأعراف : ٥٠) .

سؤالهم الماء لشدة التهابهم واحتراقهم ، وفي قولهم : " **مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ** " يشمل العموم من الطعام والشراب والفاكهة ، وعلى هذا فقد خصصوا طلب الماء لشدة حاجتهم إليه ، والطلب الأول لا يندرج في العموم ، بدلالة جواب أهل الجنة " **إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** " ، فالكافرون طلبوا الماء تخصيصاً ، وأضافوا طلباً عاماً هو الرزق ؛ فتقدم طلب الماء على الرزق .

- " **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** " (يونس : ٩٢) .

الخطاب لفرعون لحظة وفاته ، وإعلانه الإيمان بالله ، وتقدم الجار والمجرور " **عن آياتنا** " فلم يقل وإن كثيراً من الناس غافلون عن آياتنا ، رعايةً للفاصلة القرآنية ، وقد يتأخر الجار والمجرور للغاية نفسها كقوله : " **قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ** " (ص : ٦١) .

- " **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** " (فصلت : ٢٠) .

يشهد سمعهم على معصيتهم ، من سماعهم للحق وإعراضهم عنه ، والاستئناس بسماع الباطل ، واستحسان سماع الفواحش .

وتشهد أبصارهم على رؤيتهم آيات الله البينات ، وعدم الاعتبار بها ، وعلى رضاهم رؤية المنكرات ، وإطلاق النظر إلى العورات والفواحش .

([1]) بدائع الفوائد ٢ : ٦٦٣ .

وتشهد جلودهم وأعضاؤهم بأنهم باشروا المعاصي والآثام ، مـن كـذب وبطـش ونميمـة وأكل الحرام والزنا ، وغيرها من الآثام .

يقول أبو حيان : " ولما كانت الحواس خمسة : السـمع والبصـر والشـم والـذوق واللمـس وكان الذوق مندرجا في اللمس ، وكان حسن الشم ليس فيه تكليف ، ولا أمـر ولا نهـي وهو ضعيف ، اقتصر من الحواس على السمع والبصر واللمس ، إذ هي الـتي جـاء فيهـا التكليف ، ولم يذكر حاسة الشم ، لأنه ليس فيها تكليف " (1) .

ولعل ترتيب الحواس في الشهادة ، على الوجه الذي جاءت عليه في الآية ، وما فيهـا مـن تقديم وتأخير ، له علاقة بآلية ارتكاب المعاصي ؛ فأول ما تبدأ المعصية بالاسـتماع إلى مـا يقوله أصحاب السوء من الأباطيل وآفات اللسان .

وكثرة الاستماع إلى اللغو والآفـات ، تُميـت القلـب ، وتُضـعف التقـوى ، فيسـتمرئون النظر إلى المحرمات والعورات ، فتصل الجرأة والاستهانة إلى مباشـرة الآثـام ، فيقعـون في مهاوي الهلاك ، ويقترفون المعاصي بأشكالها .

-" قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَـلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا " (سبأ : ٣٢ - ٣٣) .

يسأل المستكبرون يوم القيامة الذين استضعفوهم في الدنيا ، وهو سؤال إنكار أن يكونـوا هم الذين صدوهم عن الإيمان ، وإثبات أنهم هـم الـذين صـدوا بأنفسـهم عنـه ، فجـاء جوابهم بالإبطال " **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّـهِ وَنَجْعَـلَ لَـهُ أَنـدَادًا** " وقدم الليل على النهار بالسبق في الحصول ، ولذلك اختـارت العـرب التـاريخ بالليـالي دون الأيام ، وإن كانت الليالي مؤنثة ، والأيام مـذكرة وقاعـدتهم تغليـب المـذكر إلا في التاريخ (2) .

---

(1) البحر المحيط ٧ : ٤٧١.

(2) انظر :البرهان ٣ : ٢٤١ .

- " **وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا** " (الكهف : ٤٩) .

قدم الأدنى فالأعلى ، فبدأ بالصغائر ، وما دام أن صحيفة الأعمال حريصة على ذكر الصغائر ، فمن باب أولى أن تتضمن الكبائر ، إضافة إلى أنها موضع العجب لديهم ، من صحيفة لا تتسامح حتى في صغائر الذنوب .

- " **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** "(الزمر : ٥٦ – ٥٨)

بدأ الكافر كلامه أولاً بالتحسر على التفريط في الطاعة ، ثم التعلل بفقد الهداية ، ثم تمني الرجعة ، يقول الزمخشري : " فكان الصواب ما جاء عليه ؛ وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، وبما يتناسب ومقامات يوم القيامة " ([١]) .

ولعل في هذه الأقوال الثلاثة تدرجاً لما يراه الكافر من أهوال يوم القيامة ، وتنسجم مع ما قصر فيه في الدنيا ؛ فأولاً يتحسر لما يراه من فظاعة الموقف ، ونعيم المحسنين ، فيندم على سخريته من آيات الله ، التي قادته إلى التفريط في الطاعة ، ثم يحتج بحجة واهية محاولاً إنقاذ نفسه ، فيقول : " **لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** " والهداية إلى الله تستدعي معرفته حق المعرفة ، فيتقيه ويخشاه ، ويتجنب المعاصي ، ثم ينتهي إلى تمني الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى ليعمل صالحاً ، فيكون من المحسنين .

٦ . بعض الدلالات الصرفية

تتغير الكلمة وتتصرف بالزيادة والحذف والقلب والتصغير والنسبة ، فيكون لهذا التغير دلالات عند استعمالها في سياق معين ، وقد عدَّ الرماني في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" التصريف باباً من أبواب الإعجاز البياني للقرآن ، يقول : " تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة ، وهو عقدها به على جهة

([١]) الكشاف ٥ : ٣١٦ .

التعاقب " ([1]) .وستعرض الباحثة في هذا الباب بعضاً من الدلالات الصرفية لألفاظ وردت في حوارات مشاهد القيامة :

-" **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ** " (النساء : ٩٧) .

مُسْتَضْعَفِينَ

تفيد صيغة استفعل في هذا الموضع المطاوعة ، كقولك أحكمته فاستحكم ، وأضعفته فاستضعف ([2]) ، فاعتذروا عن تقصيرهم بالاستضعاف ، وهم ليسوا ضعفاء ، وإنما ضعاف العقيدة ، والإرادة ، وقد عد الدكتور صلاح الخالدي الاستضعاف انحرافاً نفسياً شاذاً صادراً عن نفس ليست سوية ولا سليمة ([3]) ، فيرضخون لسيطرة أسيادهم فلا ينفعونهم في الآخرة ، كما لم ينفعوهم في الدنيا ، ويدل على هذا جواب الملائكة لهم " **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا** " أي كنتم قادرين على الخروج إلى بعض البلاد ، وهو استفهام من الملائكة فيه توبيخ ودحض لحجتهم .

-" **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ** " (يونس : ٢٨) .

فَزَيَّلْنَا

زيّلنا أي فرَّقنا ، والتضعيف لكثرة الفعل ([4]) أي مع كونهم في الموقف معاً ، فرَّقنا بينهم وقطَّعنا الوُصَلَ التي بينهم ؛ فلا يبقى من العابدين تَوَقُّعُ شفاعة ولا من المعبودين تقديمها .

([1]) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ١٠١ .

([2]) انظر : همع الهوامع ٣ : ٢٦٩ .

([3]) انظر : الأتباع والمتبوعون في القرآن ٣٢ .

([4]) انظر لسان العرب : مادة زيل .

- " **يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** " (المائدة : ١٠٩) .

علام الْغُيُوبِ

جاءت صيغة المبالغة "علام" لتدل على علم الله الواسع ، وتتسق مع صيغة الجمع في "الغيوب" فهو يعلم ما تخفي الصدور ، ويعلم غيب الدنيا والآخرة ، والحاضر والغائب وما كان وما سيكون .

-" **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، فاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ** " (المؤمنون : ١٠٩ – ١١٠) .

سِخْرِيًّا

زجر الله الكافرين من أهل النار ، وعنَّفهم ومنعهم من الحديث معه " **اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** " (المؤمنون : ١٠٨) ، ويشير إلى علة هذا التعنيف وهذه الإهانة ، وهو الانتقام لعباده المؤمنين ، الذين كانوا يستضعفونهم ويسخرون منهم .

واختُلِف في قراءة "سخريا" فقرأها بعضهم بضم السين ، والبعض الآخر بكسرها ([1]) ، ويرى الفراء أن ما كان من السخرة والعبودية فهو مرفوع ، وما كان من الهُزء فهو مكسور ([2]) ، والأرجح هو المعنى الثاني ، أي الاستهزاء ، بدليل فاصلة الآية " **وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ** " ، ويرى الزمخشري أن "السِخريّ" مصدر سَخِرَ ، إلا أن ياء النسبة فيها زيادة قُوَّة في الفعل ([3]) ، فهم لم يكتفوا بكفرهم وضلالهم ، وإنما تمادوا في الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم ، فكانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين ، وانشغلوا بهم عن ذكر

([1]) انظر : النشر في القراءات العشر ٢ : ٣٢٩ .

([2]) انظر : معاني القرآن ٢ : ٢٣٧ .

([3]) انظر : الكشاف ٤ : ٢٥٢ .

الله تعالى ، والكثرة والقوة في فعل السخرية في الدنيا ، تناسبها الكثرة والشدة في التعنيف والإهانة في الآخرة .

- " **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** " (الزمر : ٥٦) .

يَا حَسْرَتَا

الأصل يا حسرتِي فقلبت الكسرة قبل الياء فتحة ، وأبدلت الياء ألفاً ، لأنها أخف وأمكن في الاستغاثة بمد الصوت([1]) ويرى سيبويه أن الإبدال للتخفيف ، وقد تُلحق فيها الهاء عند الوقف "يا حسرتاهْ " وذلك لتكون أوضح للألف لأنها خفية ([2]) ، والحسرة الندامة ، صور الكافر وهو ينادي ندامته ، ويستغيث فتكون بالألف أبلغ ، يقول الفراء : " يحول العرب الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثة ، وربما أدخلت العرب الهاء المضمومة بعد الألف " ([3]) ، ويقول الزجاج : " وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها ، إذا قال القائل "يا حسرتاه " أي أن الحسرة قد حلَّت به ، وهي لازمة له ، غير مفارقة " ([4]) ، وقد تُقرَا بالإمالة وهي أن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء ، وفائدتها سهوله اللفظ إذ يرتفع اللسان بالفتح ، وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ، وقد أمال بعض القراء كل ألف منقلبة عن ياء ([5]) والتحسر يناسبه السهولة في اللفظ ، لأنه انفعال داخلي يدل على الضعف .

-" **لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** " (ق : ٢٨ – ٢٩) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٢٩٨ .

(٢) انظر : الكتاب ٢ : ٢١٠ .

(٣) معاني القرآن ٢ : ٤٢١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٣٥٨ .

(٥) انظر : النشر في القراءات العشر ٣٠ ، ٣٥ .

ظلاّم

" **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ** " أي لا أعذب أحداً بذنب غيره ، بل بذنبه بعد إقامة الحجة عليه ، وهذه من صفات الحق والعدل التي تتصف بها الذات الإلهية ، واستعمل صيغة المبالغة " ظلام " للإفراط والمبالغة في الظلم فيما لو أوقعه سبحانه على من لا يستحقه ([1]) ، وجاءت الباء الزائدة في "بظلام" مؤكدة لنفي الظلم من الله لعباده ، لا سيما بعد التنبيه على السبق بإرسال الرسل وتوضيح الآيات ، وتقديم الوعيد " **لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ** " .

- " **وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ** " (إبراهيم : ٢١) .

تَبَعًا

الحشر هنا للناس جميعا ؛ فيجتمع التابع والمتبوع ، ويعرف التابعون رؤساءهم ، فيُوبخونهم ويُقرِّعونهم بأن يطلبوا إليهم الإغناء عنهم من عذاب الله ولو بشيءٍ يسير ، ويطلبون ذلك بعد ذكرهم التبعية الكاملة لهم في الدنيا ، أي كنا نأتمر بكل ما تأمروننا به ، ونتبعكم فيما تقولون ، واستخدموا المصدر "تبعا" ([2]) لإفادة التبعية المطلقة ، فلم يقولوا "تابعين" ، وهذا يُفسر وصفهم بالضعفاء ؛ فهم ضعفاء من جهة العقل والإرادة والعقيدة ، إذ أسلموا أنفسهم للتقليد ، وانقادوا له دون تبصُّر آو تحكيم عقل .

([1]) قاله الزمخشري . انظر : الكشاف ٥ : ٦٠١ .

([2]) قال بعض المفسرين في "تَبَعاً" إنها يمكن أن تكون مصدراً ، أو جمعاً مثل حارس وحَرَس . انظر الكشاف ٣ : ٣٧٢ . والبحر المحيط ٥ : ٤٠٧ .

- **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ** " (الشعراء : ٩٤) .

فَكُبْكِبُوا

أي أُلقوا في جهنم مرةً بعد مرة ، حتى يستقروا في قعرها ([1]) ، والتضعيف في الفعل يفيد تكرار الحدث ، أي جعل التكرار في اللفظ دليلا على التكرار في المعنى من أجل زيادة الإيلام ([2]) ، وفي مثل هذا البناءِ ثلاثةُ مذاهبَ ، أحدها : أن الحرف الصالح للسقوط زائد ؛ فتكون الكاف الثانية زائدة وهو رأي الزجاج ، والثاني : وهو مذهبُ البصريين أنّ الحروفَ كلَّها أصولٌ ، والثالث : وهو قول الكوفيين أنّ الثالثَ مُبْدَلٌ من مثلِ الثاني ، فأصل كَبْكَبَ : كَبّبَ بثلاثِ باءات ، ومثلُه: لَمْلَمَ وكَفْكَفَ . هذا إذا صَحّ المعنى بسقوطِ الثالث. فأمّا إذا لم يَصِحّ المعنى بسقوطِه ، كانَتْ كلُّها أصولاً من غيرِ خلافٍ نحو: سِمسِم وخِمْخِم ([3]) ، وترجح الباحثة رأي البصريين فالألفاظ **العربية** تحكي معناها من خلال أصواتها ، فينسجم الصوت مع الصورة لأداء المعنى المقصود .

٧. دلالة الاستفهام والجواب

الغرض الأصلي للاستفهام هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوماً عند الطلب ، وتكون الإجابة بالتصديق أو التصور ، تبعاً للطريقة التي جاء الاستفهام عليها ، إلا أن الاستفهام قد يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى تُعرَف من خلال السياق الذي ورد فيه ، وستعرض الباحثة نماذج من الاستفهام في حوارات مشاهد القيامة مبينة الغرض البلاغي فيه ، وملاءمة الجواب له .

-" **حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ** (الأعراف : ٣٧) .

([1]) انظر : البحر المحيط ٧ : ٢٥ .

([2]) انظر اللسانيات الوظيفة والمنهج ٢٨٧ .

([3]) انظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك .

تسأل الملائكة الكافرين ([1]) أين الآلهة التي كنتم تعبدونها ليكونوا لكم شفعاء ؟ فلا نراهم يخلصونكم مما تحقق عليكم من هذه الشدائد ، وفي الاستفهام توبيخ وتبكيت ، فيكون جوابهم : "**ضَلُّواْ عَنَّا**" أي غابوا عنا ، فلم يخلصونا ، واعترفوا أنهم كانوا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة ، ونلاحظ أن جواب سؤالهم ليس مطابقاً من جهة اللفظ ، لأنه سؤال عن مكان ، وأُجيب بفعل ([2])، وهو مطابق من جهة المعنى ؛ إذ تقدير السؤال ما فعل شفعاؤكم من دون الله معكم ؟ فأجابوا : "**ضَلُّواْ عَنَّا**" .

-" **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ، انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** " (الأنعام :٢١ ، ٢٤) .

بدأ المشهد باستفهام تقريري لظلم المشركين ، وافترائهم على الله الكذب ، والتأكيد على عدم فلاحهم .

والاستفهام " **أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " للتقريع والتبكيت ، وفيه دلالة على الاستهزاء ؛ لأن الزعم في القرآن كذب ، أما عن جوابهم ، فقد أقسموا بالله واعترفوا بالربوبية له ، وقالوا : " **وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** " ، فتخلُّوا عن ماضيهم كله في الشرك ، وأقرُّوا بربوبية الله وحده ، وقد أقسموا لتقدم ما يوحي بكذبهم ، ورغم قسمهم إلا أن الله فضح أمرهم ، وأظهر كذبهم وافتراءهم " **انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** " .

([1]) يرى بعض المفسرين أن هذه المحاورة لحظة توفي الأرواح ، وقالت فرقة منهم المحاورة يوم القيامة والملائكة هي ملائكة العذاب ، ويتوفونهم أي يستوفونهم عدداً في السوق إلى جهنم . انظر : البحر المحيط ٤ : ٢٩٧ والجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢٠٤ والكشاف ٢ : ٤٤٠ .

([2]) الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً إذا كان السؤال موجها ، وقد يعدل الجواب عما يقتضيه السؤال ، تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك ، ويسميه السكاكي الأسلوب الحكيم . انظر : البرهان ٤ : ٤٢ .

- " **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ، أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ، قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** (المؤمنون : ١٠٤ ، ١٠٧) .

وصف الله جانباً من العذاب الحسي الذي يقاسيه الكافرون ، وخص الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء ، ومن المؤكد أن النار تحرق أجسادهم جميعاً ، ولكن الله ذكر الوجه لتصوير شدة العذاب ومهانته لهم ، ويقول الزجاج : " الكالح : الذي تشمرت شفته عن أسنانه ، نحو ما نرى من رؤوس الغنم ، إذا مستها النار " ([1]) .

هذا هو سياق المساءلة ؛ الكفار في جهنم ، تحرق وجوههم ، وتشوهها ، وهم في أبشع صورة من العذاب ، خالدون في هذه الحال ، ويسألهم الله تعالى تعنيفاً وتوبيخاً : " **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ** " ، وهو استفهام تقريري فيه توبيخ وتقريع ، فيجيبون مذعنين ، مقرِّين بأن ما أصابهم كان بسبب سوء عملهم : " **رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** " ، فنسبوا الشقاوة لأنفسهم بسبب ضلالهم ، وسوء اختيارهم ، وفي قولهم "ربنا" إقرار منهم بربوبية الله تعالى .

- " **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** " (ق : ٣٠) .

والسؤال هنا تقرير وتوقيف ([2]) ؛ لأن الله أعلم بحالها .

وفي إجابة جهنم وجهان : الأول : أنها امتلأت ، وتنفي أن يكون فيها مكان للزيادة ، فيكون استفهاماً إنكاريا ، معناه نفي وجود مكان للزيادة ، وإثبات الامتلاء ، تصديقاً لقوله تعالى : " **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** " (هود : ١١٩) ، والوجه الثاني : بمعنى زدني ، وإقرار الرغبة في الزيادة ، فيكون الاستفهام تقريرياً .

([1]) معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٢٣ .

([2]) انظر : البحر المحيط ٨ : ١٢٦ .

- " **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ** " (الأعراف : ٤٤ – ٤٥) .

ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ، قائلين : لقد صدقنا الله وعده بان نلنا هذه المراتب العالية في الجنة ، وهو ما وعدنا به في الحياة الدنيا ، فصدقنا به ووجدناه اليوم حقاً ، وأنتم ماذا عنكم ؟ هل وجدتم وعد ربكم حقاً ؟ وقد سألوهم هذا السؤال توبيخاً وشماتةً وتحسيراً لهم ، وزيادة في تبكيتهم ، فأجابوا تصديقاً ، بالإيجاب : نعم وجدناه حقاً ، يقول البقاعي : " يخبرونهم بما أسبغ عليهم الله من النعم ، ويقرعونهم بما كانوا يتوعدونهم ، به من حلول النقم ، ثم فسروا ما وقع له النداء ؛ بقوله "أن" وهي مخففة من الثقيلة ، وذكر حرف التحقيق لأنه محله ، قد وجدنا أي بالعيان ، كما كنا واجدين له بالإيمان ، وعبر بالوعد دون الوعيد على سبيل التهكم " (1) .

وعندها ينادي منادٍ بينهم من الملائكة ، ليسمع الفريقين ، زيادة في شماتة أهل الجنة ، وإمعاناً في تبكيت أهل النار ، " أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ " والظالمون هم الذين يعرضون عن سبيل الله ، ويطلبون اعوجاجها ، حتى لا يتبعها أحد ، ولا يؤمنون بالآخرة ، لهذا لا يبالون بها ولا يرجون حساباً أو عقاباً ، ومن يتصف بهذه الصفات استحق لعنة الله وغضبه .

- " **وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ ، قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ** " (إبراهيم : ٢١ – ٢٢) .

الاستفهام تبكيت للمستكبرين ؛ إذ علموا أنهم لا يملكون لهم نفعاً أو شفاعة .

وجاء جواب الرؤساء بعد تلقيهم هذا التوبيخ والتبكيت من أتباعهم ، فيه إحالة ، فأحالوا الأمر إلى الله ، " **قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا**

---

(1) نظم الدرر ٣ : ٣٥ .

مِن مَّحِيصٍ " يقول القاسمي " أي لو هدانا باهتدائنا ، ولكن زغنا فأزاغنا " ([1]) ، أي لو أرشدنا الله إلى طريق الجنة أرشدناكم ، ولتمكنا أن نقدم لكم ما يُغنيكم من عذاب النار .

-" **وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ** " (ص : ٦٢ – ٦٣) .

يتذكر الرؤساء فقراء المؤمنين الذين كانوا يستهزئون بهم ويسخرون منهم ، فيسألون عنهم : " **مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ** " وهو استفهام تعجب واستغراب من عدم رؤيتهم لهم ، " والاستفهام عن سبب عدم رؤيتهم يستلزم الجهل به المناسب للتعجب ، عن المسبب وهو عدم رؤيتهم ، لأنه كيفية نفسانية ، تابعة لإدراك الأمور القليلة الوقوع ، المجهولة الأسباب " ([2]) .

ويسألون أنفسهم إنكاراً وتحسراً : " **أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ** " فهم يؤنبون أنفسهم ، على استخفافهم بهم ، وتعاليهم عليهم ، ويقرون بذنبهم ، وينكرون على أنفسهم الأمرين معاً ، ولعل هذا من الحوار الداخلي فهم أولاً يسألون أنفسهم متعجبين ، ثم يجيبون أنفسهم باستفهام إنكاري .

- " **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** " (فصلت : ٢٠ – ٢١) .

عند إنكار الكافرين فعل المعاصي يوم القيامة ، تشهد عليهم الجوارح والجلود ، فيسألونهم متعجبين ، فهم لم يتوقعوا منهم ذلك : " **لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا** " ، فجيبونهم موبخين : " **أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** " .

([1]) محاسن التأويل ١٠ : ٣٧٢٣ .

([2]) الحاشية على المطول ٢٦٣ .

- " **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا** " (الفرقان : ١٧ – ١٨) .

سؤال الله تعالى ، وهو عالم بالمسؤول عنه وإنما سألهم ليجيبوا بما أجابوا به ، فيبكت الكافرين بتكذيبهم إياهم ، فيزيدهم حسرة ، ويُسَر المؤمنون بحالهم ونجاتهم من الفضيحة ، وجاء تقديم الاسم "أأنتم" على الفعل "أضللتم" لأن الضلال واقع ، والسؤال إنما هو من فاعله ([١]) ، والمسؤولون لا يجيبون هنا صراحة عن السؤال ، وينفون عبادة الكفرة والمشركين لهم ، بل يسلكون طريق التنزيه والتعظيم لله بقولهم " **سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء** " والمقصود انتفاء طلبهم هذا الاتخاذ انتفاءً شديداً ، أي نتبرأ من ذلك ، فكان النفي بهذا الأسلوب أبلغ .

أما الغرض من اللجوء إلى التنزيه والتعظيم مع أن الموقف يتطلب الإجابة بشكل صريح ، فهو أن الله تعالى عالم بالحقيقة قبل أن ينطق بها هؤلاء ، ومن هنا فلا بأس من الكناية عن ذلك ليكون أنسب في تقديس الباري عز وجل ، وأليق بتنزيهه عن المشاركة في العبادة .

يتبين مما سبق أن الاستفهام في حوارات القيامة قد خرج إلى معان بلاغية عديدة كالتقرير ، الإنكار ، التوبيخ ، التبكيت ، التحقير ، التعظيم ، التمني ، التحسر ، ومن الواضح أن الغاية من الاستفهام البلاغي هي مشاركة القارئ أو السامع في التفكير ، وفي ذلك إثارة للانتباه ، وتحريك للشعور ، وتشويق لمعرفة الجواب .

٨ . دلالة الصمت وعدم الإجابة

للصمت دلالات نفسية عديدة ، فقد يكون انعكاسا للشعور بالرضا والمحبة ، وقد يكون دليلاً للإقرار والموافقة ، أو يكون موحياً بالشعور بالخزي والإهانة .

([١]) انظر : البحر المحيط ٦ : ٤٤٧ .

وقد جاء في حوارات مشاهد القيامة في مواضع مختلفة ، وستعرض الباحثة بعضاً من هذه المواضع ، وتتناولها بالتحليل ، للوقوف على دلالات الصمت فيها .

- " **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ، وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " (الأنعام : ٩٣ - ٩٤) .

غيَّب الله جواب الكافرين في هذه الآية ، فلم يجيبوا الملائكة ، وبقوا صامتين ، حتى يتسق ذلك مع كونهم يقاسون ألوان الهوان والخزي ، بينما كانوا يتطاولون على الله في الدنيا ، ويقولون عليه غير الحق ، وصمتهم في هذه اللحظة يُظهر ما يطرأ على النفس من تغيرات ساعة الموت ، ويصورهم يوم القيامة فرادى من الجاه والمال والولد ، ويسألهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم في الشدائد ؟ ولا نرى جواباً من المشركين في هذا المشهد ، وفي صمتهم دلالة على الإقرار بفساد عقيدتهم .

- " **وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ، أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** "(الأعراف : ٤٨ – ٤٩).

ينظر أهل الأعراف إلى أهل الجنة ، فيرون ضعفاء المؤمنين الذين كان الكفار يستهزئون بهم ويحقرونهم ، ويزعمون أن الله لن يختصهم برحمته بإدخالهم الجنة ، فيشيرون إليهم موجهين استفهامهم لأهل النار : " **أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** " وفيه شماتة واستهزاء ، فها هم في الجنة ينعمون ويتمتعون ، وذلك زيادةً في تبكيت أهل النار وتحسيرهم ، فلا يجيبون ، إقراراً منهم بفساد ظنهم .

- "ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ" (النحل : ٢٧) .

يذل الله المشركين بعذاب الخزي والهوان ، ويسألهم تقريعاً وتوبيخاً ، أين شركائي الذين كنتم تخاصمون المؤمنين في شأنهم ؟ ويرى أبو حيان أن الله جمع بين الإهانة بالفعل ، والإهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ ([1]) ، والظاهر أن آثار الخزي بادية شاخصة على المشركين في هذا المشهد ؛ فلا نرى فيه جواباً للمشركين ، فلم يدعوا شركاءهم ، بل ظلوا صامتين ، ينتظرون مصيرهم ، وكان الجواب في هذا المشهد من الذين أوتوا العلم من الأنبياء والعلماء ، مؤكدين الخزي والهوان للمشركين بدخولهم النار ، "إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ" يقول القاسمي : " وإنما قالوا ذلك شماتة بهم ، وإهانة بالتوبيخ بالقول ، وتقريراً لما كانوا يعظونهم وتحقيقاً لما وعدهم الله " ([2]) ، وفي المشهد إعلاء من شأن الذين أُوتوا العلم ؛ فقد جعل الله لهم حضوراً في الحوار ، ولما ذكر في الآية أن الكفار كانوا يشاقُّونهم في الدنيا ، ويخاصمونهم في شركائهم ، فقد جعل لهم مشاركة في إهانة المشركين وتبكيتهم يوم القيامة ، وذلك تعويضاً لهم عما كانوا يلاقونه منهم .

- " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (النحل : ٢٨) .

ينكرُ الكفار أنهم كانوا يعملون السوء والظلم والفساد "مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ" فترد عليهم الملائكة بتكذيبهم وإثبات فعلهم السيئات.

وفي المشهد نفسه صورة أخرى مُغايرة ، هي صورة توفي المؤمنين ، أوردها الله للمقابلة مع الصورة الأولى لحظة توفي الكافرين .

فبعد أن وصف حال الكافرين ساعة الوفاة ، وما يلقونه من تبكيت وتأنيب ، انتقل للحديث عن المتقين ومصيرهم ، فأثنى عليهم ، ووصف لحظة وفاتهم ، وسلام ملائكة

([1]) انظر : البحر المحيط ٥ :٤٧١ .

([2]) محاسن التأويل ١٠ : ٣٧٩٦ .

الموت عليهم ، فقال : " **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** " (النحل : ٣٢) ، فتخرج أرواحهم آمنين ، مطمئنين في سعادة روحية نورانية ، ولا نجد في مشهد توفِّي المؤمنين مُرادَّة ، أو مراجعة في الكلام ، أو طرح أسئلة من الملائكة ، كما في مشاهد الكافرين ؛ فالمؤمن يُسَلِّمُ روحه طيبة مطمئنة ، ويتلقى السلام والدعاء من الملائكة ، والتبشير بالجنة .

- " **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ، فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ** " القصص : ٦٥) .

في هذا المشهد يسأل الله الكافرين مقيماً عليهم الحجة : " **مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** " أي أن الله أرسل إليكم رسلاً يدعونكم إلى الإيمان ، وينذرونكم عذاب هذا اليوم ، فما كان جوابكم لهم ؟ فتصيبهم حالة من الذهول ولا يجدون جواباً ، " **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ** " .

- " **لقد كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** "(ق : ٢٢) .

يقول الزمخشري : " جعل الغفلة كأنها غطاء غطى بها جسده كله ، أو غشاوة غطى بها عينيه ، فهو لا يبصر شيئاً ، فإذا كان يوم القيامة ، تيقظ وزالت الغفلة عنه ، فيبصر ما لم يبصره من الحق ، ورجع بصره حاداً لتيقظه " ([1]) ، ولا يَرُدُّ الكافر جواباً ؛ فهو مذهولٌ بما يبصره من أهوال ومشاهد كان غافلاً عنها في حياته .

- " **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** " (فاطر : ٣٧) .

الاستفهام تقريري مفاده : لقد عمرناكم في الدنيا ، ومكناكم فيها ، ما لو أردتم أن تؤمنوا لآمنتم . وقد جاء هذا الاستفهام رداً على طلبهم الرجعة إلى الدنيا ، ولا نجد جواباً للكافرين ، وبقوا صامتين إقراراً بما وُبِّخوا به .

([1]) الكشاف ٥ : ٥٩٩ .

٩ . دلالة الأمر والنهي

الأمر هو طلب حدوث فعل على وجه الاستعلاء ، أما النهي فهو طلب الكف عن حدوث فعل على وجه الاستعلاء ، وقد يخرج كل من الأمر والنهي عن المعنى الحقيقي إلى معانٍ بلاغية تفهم من السياق .

- " **حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ** " (المؤمنون : ٩٩) .

إذا أيقن الكافر بالموت ، واطلع على حقيقة الأمر ، أدركته الحسرة على ما فرَّط فيه من الإيمان والعمل الصالح ، وتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فهو يعلم أن هذا الأمر لا يرجى حصوله ، ولا يتوقعه ، وليس له طماعية فيه ، لذلك يُحمل كلامه على وجه التمني دون الدعاء ([1]) .

ومثله قوله تعالى : " **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ، قال اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** " (المؤمنون : ١٠٧ – ١٠٨) . فلما تضرعوا وطلبوا الرجعة ، وأطلقوا الوعود ، بالاستقامة والصلاح ، أجابهم الله زاجرا إياهم ، ومحقراً لهم : " **اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** " وفي فعل الأمر أقصى درجات التيئيس والإقناط والتحقير ؛ فقد أورد فعل الأمر "**اخْسَؤُوا**" متبوعاً بالنهي "**وَلَا تُكَلِّمُونِ**" ، وهذا النهي فيه عقاب لهم ؛ إذ إن إعراض الله عن تكليمهم يعد أمراً مؤلماً ، كما أن فيه إهانةً وتحقيراً لهم .

- " **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ** " (يونس : ٢٨) .

أي الزموا مكانكم ، لا تبرحوه حتى تنظروا ما يُفعَلُ بكم ، و"أنتم" أكَّد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا ، وشركاؤكم عطفٌ عليه ، وقال القرطبي : " أي الزموا واثبتوا مكانكم ، وقفوا مواضعكم أنتم وشركاؤكم ، وهذا وعيد " ([2]) .

- " **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** " (الزخرف : ٧٠) .

([1]) انظر : الحاشية على المطول ٢٦٧ .

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٨ : ٣٣٣ .

جاء فعل الأمر هنا للتشريف والتعظيم لثواب المؤمنين ، وذكر أزواجهم زيادة في التكريم .

ومنه قوله : " **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (المرسلات : ٤٣) ، وقوله : "**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ** " (ق : ٣٤) .

- " **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** " (الدخان : ٤٩) .

جاء الأمر على سبيل التهكم ، وهو الإتيان بلفظ البشارة في موضع العقاب ، والوعد في مكان الوعيد ، تهاوناً من القائل ، واستهزاءً بالقول له ، وهو أغيظ للمستهزأ به وأشد إيلاماً له ، فجاءت هذه الآية للتهكم والاستهزاء بمن كان يعلو في الأرض علواً كبيراً ، وهو يوم القيامة مهين ذليل .

-" **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** " (الأعراف : ٥٠) .

جاء فعل الأمر على وجه اليأس والقنوط ، فهم يعلمون أنهم خالدون في العذاب ، محرومون من كل ما يخفف عنهم العذاب ، من الماء والطعام .

-" **لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ** " (ق : ٢٨) .

النهي عن الاختصام ليس من باب إنهائه ، إذ إن الله أكد في موضع آخر أن هذا التخاصم ثابت ولا بد أن يجري " **إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ** " (ص : ٦٤) وإنما جاء النهي عنه لعدم فائدته ، والاستماع إليه ، فلا جدوى منه في دار الحق .

- " **وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** " (الأعراف : ٤٦) .

جاء النهي هنا على وجه الدعاء ، إذا إنه من الأدنى وهم أهل الأعراف ، إلى الأعلى وهو الله ؛ فهم يدعونه ويرجونه الكَف عن الفعلِ على وَجْهِ التَّخَضُّعِ والتَّذَلُّلِ طلباً للنجاة لأنفسهم .

- " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (إبراهيم :٢٢) .

جاء نهي الشيطان أن يلوموه ، وأمره لهم أن يلوموا أنفسهم على وجه التبكيت والتوبيخ والتحسير ، لا سيما أنه أخبرهم بإخلاف وعده إياهم ، وعدم سلطته عليهم في الدنيا ، وأنهم يتحملون مسؤولية ما هم فيه من عذاب النار ، إذ لم يكن للشيطان سوى التزيين ، وهو أيضاً لا يملك النفع أو الشفاعة ، فقال لهم وما كان لي عليكم أي شيء من القدرة والسلطة على إرادتكم سوى التزيين والدعوة إلى الباطل وذلك بالوسوسة ، وهي ليست من جنس السلطان ، وأنتم استجبتم لي بكامل إرادتكم واختياركم ، فلا تلوموني فيما أتيتموه من الضلال ، بل لوموا أنفسكم على انحرافكم ، واتباع الباطل ، وعدم اتباع الحق إذ جاءتكم الرسل بالبينات .

الأصل في الأمر أن يراد منه التنفيذ على وجه الوجوب ، وكذلك الأصل في النهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وقد يراد منهما غير ذلك من أغراض بلاغية ، تُفهم من السياق ، والقرائن الحالية والمقالية ، كالتوبيخ والتهديد والتحقير والدعاء والتشريف والتمني والتحسير والتيئيس .

١٠ . دلالة الفاصلة القرآنية

الفواصل هي حروف متشاكلة في المقاطع توجب إفهام المعاني ، وهي تابعة لها ، وفائدة الفواصل : دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ([1]) .

والمحافظة على الفاصلة لا تكون إلا مع بقاء المعاني مقتضية حسن النظم والتئامه ، وتكون سلاسة الألفاظ منسجمة مع المعاني الصحيحة منقادة لها ، وأكد كثير من علماء

---

(١) إعجاز القرآن ٤٠٩ .

البلاغة الذين صنفوا في إعجاز القرآن وبلاغته أن الفاصلة فيه تابعة للمعنى ، ولا تكـون مقصودة في نفسها ([1]) .

ويرى سيد قطب أن الفاصلة للقيمة الجمالية فيها ، فهي قائمة على الأسـلوب الموسـيقي والإيقاع القوي الرصين ([2]) .

وقد كثر في القرآن ختم كلمة المقطع من الفاصـلة بحـروف المـد واللـين وإلحـاق النـون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب ، يقول سـيبويه في حديثـه عـن الشـعراء : " أمـا إذا ترنمـوا ، فـإنهم يلحقـون الألـف واليـاء والـواو ومـا لا ينـون ، لأنهـم أرادوا مـد الصوت " ([3]) . وللقرآن الكريم سمة خلابة تتجلى بنظامـه الصـوتي ، وجمالـه اللغـوي ، وائتلاف حركاته وسكناته ومدّاته ، بما يسترعي الاستماع ويستهوي النفوس .

وستعرض الباحثـة بعضـاً مـن نمـاذج الفاصـلة القرآنيـة في حـوارات مشـاهد القيامـة في القرآن .

- " **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** " (المنافقون : ١٠ - ١١) .

اللَّهُ خَبِيرٌ بأعمال عباده ونياتهم ؛ فلا ينفع الإنفاق في هذا الوقـت ، ولا تمـني التـأخير في الأجل ، وتشير الباحثة إلى التوافق بين فاصلة الآية ومضمونها ؛ فالله لا يقبل الإنفـاق في هذا الوقت لعلمه أنه ليس على مَلَكة السخاء ، وقد كـان في متسـع مـن الوقـت لكنـه لم ينفق ، ويعلم الله أنه لو أخّرَ وقت وفاته ، لعاد لما كان عليه من حب الدنيا والتعلُّق بهـا ، فجاءت الفاصلة مؤكدة لمعنى الآية منسجمة مع مضمونها ، وهو ما يُعرف بالتمكين .

---

[1] انظر مثلاً : البرهان ١ : ٥٤ . وثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٩٧ . والإعجاز البياني للقرآن ٢٦٨ .

[2] انظر : التصوير الفني في القرآن ١٠٨ .

[3] الكتاب ٤ : ٢٠٤ .

- "**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" (المائدة : ١١٨) .

العزيز الذي لا رادَّ لأمره ، والحكيم الذي يصدر منه كل أمر لحِكْمَة ، فجاءت فاصلة الآية تمكن المعنى ، لأن الله عزَّ فحكم في العذاب أو المغفرة للذين عصوه ؛ فالله يغفر الذنوب لمن يشاء وكيفما شاء ، ولا يرده أو يحاسبه أحد ، وكذلك لو أراد أن يعذبهم بمعاصيهم .

- "**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**" (يونس : ٢٨) .

قدم ضمير النصب وأخر الفعل والفاعل رعاية للفاصلة القرآنية ، ومثله : "**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ**" (القصص : ٦٢ ، ٦٣) ومنه ما جاء في الآية : "**فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**" (يونس : ٢٩) ، قدم الجار والمجرور للغاية نفسها ، ومنه : "**فاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ**" (المؤمنون : ١١٠) و "**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ**" (الزخرف : ٧٣) .

ومن بديع الفاصلة القرآنية تماثل الحروف في قوله : "**وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ**" (ص : ٦٢ – ٦٣) ومنه قوله تعالى : "**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ، قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ، يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**" (ق : ٢٧ ، ٣٠) .

ومن جمالية الفاصلة القرآنية إثبات هاء السكت في قوله : "**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ**" (الحاقة : ٢٥ ، ٢٩) .

ومنه الإيقاع الرصين في قوله : " **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** " (الحاقة : ٣٠ ، ٣٢) يقول ابن الأثير : " فإن تقديم الجحيم على التصلية ، وإن كان فيه تقديم المفعول على الفعل ، إلا أنه لم يكن هاهُنا للاختصاص ، وإنما هو للفضيلة السجعية ، ولا مراء في أن النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل : خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم " ([1]) ، وهو يشير في هذا الكلام إلى قول الزمخشري الذي رأى في تقديم المفعول الثاني "الجحيم" معنى الاختصاص أي لا تصلوه إلا الجحيم ([2]) ، ويتبين من كلام ابن الأثير أنه يركز على الإيقاع الصوتي ، ويعطيه الأفضلية حتى أنه يسميه الفضيلة السجعية ، والثابت أن الفاصلة في القرآن تابعة للمعنى تمكنه وتدعمه ، إضافة إلى فضيلة حسن النظم والإيقاع الصوتي ، فإنه لو قال صلوه الجحيم ، يمكن أن تقع التصلية على الجحيم أوغيرها، والفاصلة القرآنية إضافةً لما لها من إيقاع صوتي متناسق ، فإنها تخدم المعنى وتقويه وتتبع له ، وهذا ما يميزها عن سجع الكهان ، وقافية الشعراء .

ثالثاً : ملامح بيانية للحوار في مشاهد القيامة

البيان هو النطق الفصيح المعرب عما في الضمير ، وهو علم يتوصل به إلى إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة ، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح ، ولا بد من المطابقة لمقتضى الحال دائماً ، وستعرض الباحثة بعضاً من الفنون البيانية في حوارات مشاهد القيامة مبرزة دورها في أداء المعنى .

١ . التشبيه

هو الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه ، ولا شك أن له وقعاً حسناً في البلاغة ، لتقريبه المعاني ، وإخراجه غير المحسوس

---

(١) المثل السائر ٢ : ٢١٣ .

(٢) انظر الكشاف ٦ : ٢٠١ .

إلى المحسوس ، وإضفائه على العبارة جمالاً وبهاءً في التركيب ، وشرفاً في المعنى ([1]) ، وقد عدَّ الرماني التشبيه وجهاً من وجوه الإعجاز البياني في القرآن يقول : " وذلك أنه يكسب الكلام بياناً عجيباً " ([2]) .

-" **لقد كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** " (ق : ٢٢) .

شبه الغفلة التي كان عليها الكافر في الدنيا بالغطاء الذي يحجب البصر ، أمَّا وقد بعثه الله ، ورأى ما كان ينكره من أهوال القيامة ، فشبه ذلك بكشف الغطاء فيصبح بصره حاداً .

-" **جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ** " (ص : ٥٦) .

شبه ما تحت الكافرين من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم ، ولكنه مهاد لا راحة فيه ولكنه استعمل هذه اللفظة من باب السخرية ، وذم هذا المهاد تهكماً لحالهم .

- " **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ** " (القمر : ٧) .

شبه الناس يوم البعث يخرجون من قبورهم بالجراد المنتشر ، ووجه الشبه الكثرة والتموج والانتشار في الأقطار ، وقد جاء تشبيههم بالفراش المبثوث " **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ** " (القارعة : ٤) ، وقيل : يكونون أولاً كالفراش حين يموجون فزعين ، لا يهتدون أين يتوجهون ، لأن الفراش لا جهة لها تقصدها ، ثم يصيرون كالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر ([3]) .

([1]) انظر : جواهر البلاغة ٢١٩ .

([2]) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٨١ .

([3]) انظر : الجدول في إعراب القرآن ١٤ : ٦٧ .

٢ . الاستعارة

استعمال اللفظ في غير ما وُضع له ، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة من إرادة المعنى الأصلي .

وأهمية الاستعارة في البلاغة هي إبداع مشبه به بعيد عن الأذهان ، يحتاج إلى تذوق وتبصر وإمعان فكر ، وملكة لغوية عميقة في تعرف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء ([١]).

-" **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ** " (الأنعام : ٣١) .

" **وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ** " أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم ، وجعل الذنوب والخطايا محمولة على الظهر ، من باب الاستعارة التصريحية ، فقد شبه الذنوب بالأحمال الثقيلة ، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به ، والمراد بيان سوء حالهم وشدة ما يجدونه من المشقة ، فهم يقاسون عقاب ذنوبهم مقاساةً تثقل عليهم ([٢]) .

-" **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " (الأنعام : ٩٤) .

أي تقطع كل ما كان موصولا بينهم من علاقات الولاء ، والمقصود بالقطع تفرق الجماعة ، شبه ما كان بينهم من صلات بالأجسام الملتصقة ، ثم حذف المشبه به ، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو "تقطع" على سبيل الاستعارة المكنية ، يقول الجرجاني : " القطع إذا أُطلِقَ فهو لإزالة الاتصال من الأجسام التي تلتزق أجزاؤها ، وإذا جاء في تفريق

([١]) انظر : جواهر البلاغة ٢٥٨ .

([٢]) انظر : الجدول في إعراب القرآن ٤ : ١٢٥ .

الجماعة ، وإبعاد بعضهم عن بعض كان شبه الاستعارة ، وإن كان المعنى في الموضعين على إزالة الاجتماع ونفيه " ([1]) .

-" **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ، فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ** " (القصص : ٦٥ – ٦٦) .

" **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء** " أي عموا عن الأنباء فلم يهتدوا إليها ، شبه عدم الاهتداء إلى الإجابة بالعمى ، ثم حذف المشبه ، وأبقى المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ([2]) ، حيث استعير العمى لعدم الاهتداء ، ثم قُلِب للمبالغة ؛ فجعل الأنباء لا تهتدي إليهم ([3]) .

-" **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** " (الزمر : ٦٩) .

استعارة النور للحق ، أي أشرقت الأرض بما يقيمه الله فيها من الحق والعدل ، شبه الحق بالنور ، وحذف المشبه ، وأبقى المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية وهي استعارة مشهورة في القرآن ، كاستعارة الظلمات للضلال .

-" **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ** " (الحاقة : ٢٩) .

استعار الهلاك للسلطان ، شبه السلطان بالنفس التي تهلك ، وحذف المشبه به ، وأبقى قرينته الهلاك ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، وهو أبلغ من قوله ذهب عني سلطانية ؛ وذلك أن الذهاب قد يكون متعلقاً بانتظار العودة ، خلاف الهلاك ، ومفاده الفناء التام ، دون رجعة ([4]) .

([1]) أسرار البلاغة ٦٠ .

([2]) إذا لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس ، كالفعل وما يُشتق منه ، فالاستعارة تبعية ؛ لأن الاستعارة تعتمد على التشبيه ، والتشبيه يقتضي كون المشبه موصوفاً بوجه الشبه ، أو مشاركا للمشبه به في الصفة . انظر الحاشية على المطول ٣٦٦ .

([3]) انظر : الجدول في إعراب القرآن ١٠ : ٢٨٥ .

([4]) انظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٤٤ .

- " قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ " (يس : ٥٢) .

أصل الرقاد النوم ، وحقيقته من مهلكنا ، شبه الموت بالرقاد ، وحذف المشبه ، وأبقى المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، وهو أبلغ ؛ لأن النوم أظهر من الموت والاستيقاظ أظهر من الإحياء بعد الموت ، لأن الإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة وليس كذلك الموت .

-" تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ" (الملك : ٨) .

التميز من الغيظ يقال لشدة الإفراط في الغضب ، فجعل النار كالمغتاظة على الكفار لشدة غليانها عليهم ، فشبه اشتعال النار بهم وقوة تأثيرها فيهم كالإنسان المغتاظ على غيره ، المبالغ في إيصال الضرر إليه ، وحذف المشبه ، وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، والاستعارة أبلغ ؛ لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك مدى ما يدعو إليه من شدة الانتقام ، يقول الرماني : " وفي ذلك أعظم الزجر ، وأكبر الوعظ ، وأدل دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة " ([1]) .

٣ . المجاز

المجاز نوعان : مجاز لفظي (مرسل) ، ومجاز عقلي .

والمجاز المرسل هو اللفظ المستعمل قصداً في غير ما وضع له ، لعلاقة غير المشابهة ، مع وجود قرينة لفظية أو حالية ، دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي ، وسمي مرسلاً لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة ، بل له علاقات كثيرة ([2]) .

أما المجاز العقلي فهو إسناد الأمر إلى ما ليس من حقه أن يُسند إليه ، ويسمى إسناداً حكمياً ، أي إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له ، يعني غير الفاعل فيما بُني للفاعل

([1]) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٨٧ .

([2]) انظر : جواهر البلاغة ٢٥٥ .

وغير المفعول فيما بُني للمفعول ، ولا قرينة له ، والفيصل في ذلك ما يقتضيه العقل ويرتضيه ([1]) .

وستعرض الباحثة فيما يأتي نماذج من المجاز في حوارات القيامة :

- " **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** " (الأنعام : ٩٤) .

يرى الزمخشري في معنى "خولناكم" أنه على وجهين : الأول خوله أي جعله يخول ، من خال إذا اختال وافتخر ، وفي معناه قول العرب : " إن الغنيَّ طويل الذيل ميّاس " ، والثاني أي جعله خائل مال ، إذا كان متعهداً له حسن القيام به ([2]) ، وترجح الباحثة الرأي الأول ، على المجاز أي تركتم ما منحناكم من أموال ، ووضع المسبب "الخيلاء" مكان السبب "الأموال" ، لعلاقة المسَببية ، وذلك بقصد المقابلة بين صورة المشركين يوم القيامة ، فرادى من المال والجاه والولد ، وصورتهم في الدنيا متكبِّرين متعالين بما أعطاهم الله .

-" **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ، قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** " (المؤمنون : ١٠٥ – ١٠٦) .

يرى بعض المفسرين أن المقصود في "شِقوتنا" لذاتنا وشهواتنا ، لأنهما تؤديان إلى الشقاوة ، وهو من المجاز ، أطلق اسم المُسَبب على السبب ، لعلاقة المسَببية ([3]) .

-" **لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** " (المؤمنون : ١٠٠) .

المراد بالكلمة : أي المجموعة من الكلمات أو الجملة ، وهي قول الكافر ساعة الموت : " **لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** " ، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وعبر عن الجملة بجزء

([1]) انظر : الحاشية على المطول ٨٠ .

([2]) انظر : الكشاف ٦ : ٢٩٢ .

([3]) انظر : البحر المحيط ٦ : ٣٨٩ .

منها استخفافاً بها لعدم جدواها ؛ إذ يقولها دون أن يلتزم بها ، ولم تصدر عن نية صادقة في الإحسان ، أو العمل الصالح ، فلا يجد منها جدوى ، ولا يجاب طلبه في الرجوع .

- " **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** " (ق : ٣٠) .

قال بعض المفسرين إن سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل ، الذي يُقصد به تصوير المعنى (١) ، من باب الإسناد العقلي ، وذكر ابن منير الإسكندري ما ينقض هذا الرأي فقال : " إنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة ، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك " (٢) .

وترجح الباحثة أن سؤال جهنم وجوابها على وجه الحقيقة ، فإن الله تعالى يجعلها تنطق بقدرته ، كما تنطق الجوارح ، فقد وصف الله جهنم في كتابه العزيز مضفياً عليها صفات الأحياء ، فهي ترى الكافرين ، وتتغيظ للقائهم " **إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرا** " (الفرقان : ١٢) ، وأمور الآخرة لا ينبغي أن تقاس على أمور الدنيا ، وإن وقع مثل هذا في الدنيا ، كتسبيح الرعد ، والشجر ، والطيور ، وكلام سليمان مع الحيوانات وغيرها .

- " **بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ** " (ص : ٦٠) .

المقصود في قولهم : " **قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا** " عمل السوء الذي هو سبب العذاب ، فوضع المسبب موضع السبب ، فهو مجاز مرسل علاقته المُسَببية ، يقول الزمخشري : " المقدَّم هو عمل السوء ، ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم ، وكان العذاب جزاءهم عليه ، قيل أنتم قدمتموه لنا ، فجعل الرؤساء هم المقدمين ، وجعل الجزاء هو المُقَدَّم ، فجمع بين مجازين ، لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم ، والعمل هو المُقَدَّم لا جزاؤه " (٣) .

---

(١) انظر : الكشاف ٥ : ٦٠١ .

(٢) المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف ٢ : ٩٦٣ .

(٣) الكشاف ٥ : ٢٧٧ .

-" **فَلْيَدْعُ نَادِيَه** " (العلق : ١٧) .
النادي في العربية : مكان اجتماع القوم ، فذكر النـادي وأراد المجـتمعين فيـه ، أي فليـدعُ أهل ناديه ، فأطلق المحل ، وأراد الحال ، لعلاقة المحلية .

- " **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** " (فصلت : ٢٠) .

قال بعض المفسرين في شهادة الجوارح والأعضاء ، إنها تتغير وتُصور أشكالها على هيئـة الأعمال التي ارتكبوها ؛ فتدل الأشكال على ما كانوا يعملون ، اسـتبعاداً لعمليـة النطـق (١) ، على اعتبار أن نطق الأعضاء من الإسناد المجازي ، والثابت أن النطـق علـى وجـه الحقيقة ، فالشهادة كما يقول الراغب : " قول صادر عن علم حصـل بمشـاهدة بصـيرة أو بصر ، ولا يُرضى من الشاهد أن يقول أعلـم بـل يقـول أشـهد " (٢) ، كمـا أنـه جـاء في جواب الجوارح ما يُفيد قطعياً بالنطق .

وجاء في الحديث الصحيح عن انس بن مالك قال : " كنا عند رسول الله صـلى الله عليـه وسلم ، فضحك ، فقال : هل تدرون مما اضحك ؟ قال قلنا : الله ورسوله أعلم . قـال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يـا رب ألم تجرنـي مـن الظلـم ؟ قـال يقـول : بلـى ، قـال فيقول : فإني لا أُجيز على نفسـي إلا شـاهداً مـني ، قـال فيقـول : كفـى بنفسـك اليـوم شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه ، فيُقال لأركانه : انطقي ، قـال فتنطق بأعماله ، قال ثم يُخلي بينه وبين الكلام ، قال فيقول : بُعداً لكنَّ وسُحقاً ، فعنكنَّ كنت أُناضل " (٣) ، والحديث واضح بنصه الصريح على النطق بالقول لا بالإشارة .

---

(١) قاله القاسمي وعزاه للرازي والقاشاني . انظر : محاسن التأويل ١٤ : ٥١٩٦ .
(٢) المفردات : مادة شهد .
(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٨١ والحديث برقم ٢٩٦٩ . وأُناضل : أجادل وأُدافع .

٤ . الكناية

لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع إرادة المعنى الأصلي ، والسر البلاغي فيها أنها تعطي الحقيقة مصحوبة بالدليل ، وتضع المعاني بصورة المحسات ([1]) .

- " **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** " (فصلت : ٢٠) .

يرى بعض المفسرين أن الجلود كناية عن معصية الزنا ([2]) ، وذكر ضياء الدين بن الأثير هذا المعنى في باب الترجيح الذي يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ، يكون حقيقة في أحدهما ، مجازاً في الآخر ، فالجلود عنده تُفَسَّر حقيقةً ومجازاً ، أما الحقيقة فيُراد بها الجلود مطلقاً ، وأما المجاز فيُراد بها الفروج خاصةً ، وهذا هو المانع البلاغي الذي يُرَجح جانب المجاز على الحقيقة ، لما فيه من لطف الكناية عن المُكَنّى به ([3]) .

- " **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** " (الزمر : ٥٦) .

الجنب أي الناحية والجهة ، ويرى الزمخشري أن في الآية حذف ؛ فالمقصود فرطت في طاعة الله أو في حقه ([4]) ، والتفريط في جهة الطاعة ، كناية عن التفريط في الطاعة نفسها ؛ لأن من ضيع جهة ، ضيع ما فيها بطريق الأولى ، وهو من الكناية عن النسبة .

- " **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** " (الزمر : ٦٧) .

" **وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** " ينبه الله على عظمته وجلاله وقدرته الباهرة ، عن طريق التصوير والتخييل ، يقول الزمخشري : " والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو ،

([1]) انظر : جواهر البلاغة ٢٨٧ .

([2]) انظر : الكشاف ٥ : ٣٧٨ . ومحاسن التأويل ١٤ : ٥١٩٦ .

([3]) انظر : المثل السائر ١ : ٧٢ .

([4]) انظر : الكشاف ٥ : ٣١٤ .

بجملته ومجموعه ، تصوير قدرة الله وكنه جلاله لا غير"[1] ، ويقول أبو حيان : "يقال فلان في قبضة فلان إذا كان تحت تدبيره وتسخيره" [2] ، وهو من الكناية عن الصفة .

والأرض جميعاً أي الأرضون السبع ، أكده بلفظ "جميعاً" ، وعطف عليه السماوات ، ولما كان موضع تفخيم ، اقتضى المبالغة في تصوير قدرة الله وجلاله .

- **" وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ"** (الشورى : ٤٥) .

ينظرون من طرف خفي كناية عن صفة الذل والانكسار ، فهم ينظرون نظراً خفياً لا حدة له ، وهكذا نظر المرء إلى المكاره ، مبالغة في بيان ما عليه حالهم من الذلة والهوان والانكسار ، ومثله قوله تعالى : " **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ** " (القمر : ٧) كناية عن الذلة والخضوع ، يقول الزمخشري : "إن ذلة الذليل ، وعزة العزيز ، تظهران في عيونهما " [3] .

-**" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ "** (فصلت : ٢٩) .

كناية عن الانتقام ؛ وذلك لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ، وكل ما سَفُلَ منها فهو أشد على أهله ، وعذاب أهله أغلظ ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ، ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار[4] .

وقد لاحظت الباحثة أن حوارات القيامة اتخذت أسلوباً مباشراً في التعبير ، فلم ترد فيها الفنون البيانية بكثرة ، ولعل السبب في ذلك ، أن هذه الحوارات قوية مقنعة بذاتها ،

([1]) الكشاف ٥ : ٣٢٠ .

([2]) البحر المحيط ٧ : ٤٢٢ .

([3]) انظر : الكشاف ٥ : ٦٥٥ .

([4]) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٤١٥ .

فاستغنت عن تقويتها بمشاهد بيانية ، أو صور بلاغية ، لأن هذه الأدوات يؤتى بها لتدعيم الفكرة ، وتقوية الدلالة ، حين يحتاج السامع إلى أدلة مقنعة .

الخاتمة

• تبين وفرة الدراسات السابقة للحوار في القرآن ، أهمية الموضوع ومدى اهتمام الباحثين به ، في مجالات وميادين مختلفة ، كالدعوة إلى الله ، وتربية الأجيال وتنشئتها ، والحوار مع الآخر .

• الحوار وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق ونصرته ، ودفع الباطل ، والهدف منه الوصول إلى الحقيقة ، وهو أسلوب مستقل اعتنى به علماء الشريعة ،ووضحوا طرائقه وأساليبه ، والحوار الهادئ الملتزم يمكن أن يكون مفتاحاً للقلوب ، وطريقاً إلى الأفئدة ، ومحققاً لنتائج إيجابية كثيرة .

• ورد الحوار في القرآن في قالب من الفن الرفيع ؛ فكان أدعى للقبول والإقناع ؛ وجمع بين التأثير في العقل بالأصول والقواعد المنهجية في الحوار ، والأدلة والحجج الدامغة الجلية ، وإثارة العاطفة بالأساليب البيانية ، التي تخاطب الوجدان وتهز العاطفة .

• اتخذ القرآن الحوار أداةً لتبليغ الدعوة ، وإثبات قضية الوحي والإخبار عن الغيب ، واحتوت حواراته أساليب عميقة التأثير ، عُرضت بأسلوب مُشوِّق يُقرِّب المعاني والأغراض الدينية التي قصدها الله تعالى .

• فكرة الإيمان باليوم الآخر فكرة حية وعميقة في الوجود البشري ، تنسجم وفطرة البشر ، وتشكل حداً فاصلاً للصراع بين الخير والشر ، وهذا يقود إلى ضرورة إعمار الدارين الدنيا والآخرة .

• يرتبط الحوار بسياق المشهد الذي جاء فيه ، وهذا يتطلب دراسة البيئة الحوارية التي تمت فيها المحاورة .

• تعددت أطراف الحوار في مشاهد القيامة ، ويرتبط هذا بالأغراض الدينية المقصودة من الحوار .

- ألفاظ القرآن كلها تلائم بعضها بعضاً ، ليس فيه لفظة نافرة عن أخواتها ، غير لائقة بمكانها ، وكلها موصوفة بحسن الجوار ، إذ تتضافر الألفاظ كلها لأداء المعنى المقصود في حوارات مشاهد القيامة ، بحيث يبلغ ائتلاف اللفظ مع المعنى منتهاه .
- الحذف والتقديم والتأخير، وتركيب الجملة بما فيها من إضافة وحروف وأدوات ، وتصريف ، من الظواهر الأسلوبية الحاضرة في حوارات مشاهد القيامة ، وقد تضمنت حكماً بالغة في تطويع الجملة الحوارية للمعنى المقصود .
- الأساليب البلاغية الأكثر حضوراً في حوارات مشاهد القيامة هي الاستفهام بأغراضه المختلفة .
- كان للاستفهام حضور واضح في إبراز دلالات الجملة الحوارية ، وكان للإجابة الأثر البالغ في إبراز الغرض من السؤال ، وإظهار دلالاته من إقرار ونفي وتعجب وإنكار .
- للصمت دلالات نفسية عديدة في مشاهد القيامة ؛ فقد يكون انعكاسا للشعور بالرضا والمحبة ، وقد يكون دليلاً للإقرار والموافقة ، أو يكون موحياً بالشعور بالخزي والإهانة .
- للقرآن الكريم سمة خلابة تتجلى بنظامه الصوتي ، وجماله اللغوي ، وائتلاف حركاته وسكناته ومدّاته ، وانسجامها مع المعاني التي تؤديها ، ويتجلّى ذلك من خلال الفاصلة القرآنية ، وما لها من إيقاع قوي رصين .
- التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، من الفنون البيانية التي يتوصل بها إلى إبراز المعنى الواحد بطرق مختلفة ، وقد كان لها دور بارز في توضيح الجمل الحوارية في مشاهد القيامة ، بما هو أبلغ وأحكم .
- تدور حوارات مشاهد القيامة حول أربعة مضامين أساسية ، هي : توحيد الله ونفي الشركاء ، وإقامة الحجة على الكافرين ، ودفعهم للاعتراف باستحقاقهم العذاب ، وتخلي المتبوعين عن أتباعهم ، وتمني الكافرين الرجوع إلى الدنيا .

- أكدت الحوارات مضامين القيامة بطرق وأساليب مختلفة ، بحيث تخدم الغرض الـديني في إطار صور من المواقف المتعددة ، وأبرزت سمات المتحاورين وانفعـالاتهم ، بكـل مـا يعتورهم من تحولات ، وينتابهم من مشاعر .
- المضامين الخاصة بيوم القيامة لا تنفصل عن المضامين الكلية للقرآن الكريم ، بل إنهـا تتفق معها ، وتدعمها .
- حوارات القيامة قوية مقنعة بذاتها ، فلم ترد فيها الفنون البيانية من تشـبيه واسـتعارة وكناية ومجاز بكثرة .

وفي الختام ، فقد خلصت الباحثة إلى جملة من التوصيات :

- أن يعمد الدعاة إلى استخدام الجمل الحوارية في مشاهد القيامة ، في الوعظ والإرشاد ، على الصورة البلاغية التي جاءت فيها ، فهي أبلغ في التأثير وأدعى للترغيب والترهيب .
- أن تُخصص البحوث لدراسة اخـتلاف أسـاليب الحـوار في مشـاهد القيامـة بـاختلاف أطراف الحوار ، فقد لاحظـت الباحثـة أن أسـاليب الحـوار في القـرآن تختلـف بـاختلاف المحاورين ، وذلك في إثبات القضية الواحدة .
- أن يقوم الباحثون بدراسة خاصة بلغة الإشارة ولغـة الأعضـاء ، كالوجـه والعـين ، في مشاهد القيامة .
- تخصيص دراسات في أساليب الحوار في موضوعات غير مشـاهد القيامـة ، كـالحوار في مواقف الجهاد والحرب ، والحوار في مواقف الإنفاق .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- ابن الأثير ، ضياء الدين – **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** – تحقيق : أحمد الجوني وبدوي طبانة – دون تاريخ – دار نهضة مصر للنشر والطبع – القاهرة .
- استيتية ، سمير شريف – **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج** – ٢٠٠٥ – عالم الكتب الحديث – إربد .
- الأشموني ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم - **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا** ١٩٧٣ - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة .
- الأعشى ، ميمون بن قيس – **الصبح المنير في شعر أبي بصير** – ١٩٢٧ مطبعة أدلف هلزهوشن – دون مكان .
- الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب – **إعجاز القرآن** – تحقيق : السيد أحمد صقر دون تاريخ – دار المعارف – القاهرة .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** - تحقيق: عبد السلام هارون - ١٩٨٦ - مكتبة الخانجي - القاهرة .
- البقاعي ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر – **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** - تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي – ١٩٩٥ – دار الكتب العلمية بيروت .
- ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم - **درء تعارض العقل والنقل** - تحقيق : محمد رشاد سالم - ١٩٩١ - إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر- **البيان والتبيين** - ١٩٩٨ - تحقيق وشرح : عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة .

• الجاحظ ، عمرو بن بحر - **الحيوان** - تحقيق : عبد السلام هارون- ١٩٦٥ ط٢ - مكتبة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة .
• جاد المولى محمد أحمد ، وآخرون – **أيام العرب في الجاهلية** – ١٩٤٢ – المكتبة العصرية – بيروت .
• جراح ، جراح مفلح - **الحوار في القرآن الكريم ، ودرجة ممارسته في المؤسسات التربوية** ٢٠٠٦ - جامعة اليرموك - أطروحة دكتوراه .
• الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد – **أسرار البلاغة** – تحقيق : محمود محمد شاكر – ١٩٩١ – دار المدني – جدة – القاهرة .
• الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد - **دلائل الإعجاز**- تحقيق : محمود محمد شاكر - ٢٠٠٤ - ط ٥ - مكتبة الخانجي – القاهرة .
• الجرجاني ، علي بن محمد – **الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** تحقيق : رشيد أعرضي – ١٩٧١ – دار الكتب العلمية – بيروت .
• الجرجاني ، علي بن محمد - **كتاب التعريفات** - ١٩٨٥ - مكتبة لبنان – بيروت.
• ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد - **النشر في القراءات العشر** - تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع - دون تاريخ - دار الكتب العلمية – بيروت .
• ابن جزي الكلبي ، أبو القاسم محمد بن أحمد - ١٩٩٥ - **التسهيل لعلوم التنزيل** تحقيق : محمد سالم هاشم - دار الكتب العلمية - بيروت .
• حسان ، تمام – **اللغة العربية معناها ومبناها** – ١٩٩٤ – دار الثقافة – الدار البيضاء .
• حسين ، خالد قاسم – **التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني ، دراسة لغوية أسلوبية** ١٩٩٩ - جامعة اليرموك – رسالة ماجستير .
• ابن حلزة ، الحارث – **ديوان الحارث بن حلزة** – جمع وتحقيق وشرح : إميل بديع يعقوب ١٩٩١ – دار الكتاب العربي – بيروت .

• حلمي ، أمين - **الحوار الفكري في القرآن الكريم ، المناظرة والجدل والمحاجة ١٩٩٨** - دار النهضة الإسلامية - الرياض .

• بن حميد ، صالح بن عبد الله - **أصول الحوار وآدابه في الإسلام** - ١٩٩٤ - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - مكة .

• أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف - **تفسير البحر المحيط** - تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض - ١٩٩٣ - دار الكتب العلمية - بيروت .

• الخالدي ، صلاح عبد الفتاح - **الأتباع والمتبوعون في القرآن** - ١٩٩٦ - دار المنار للنشر والتوزيع - عمان .

• الخطيب البغدادي ، أبو يكر أحمد بن علي بن ثابت - **الفقيه والمتفقه** - تحقيق : أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي - ١٤٢١ هـ - دار ابن الجوزي الرياض .

• الداية ، فايز - **علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية** - ١٩٩٦ - دار الفكر - دمشق - دار الفكر المعاصر - بيروت .

• الرازي ، فخر الدين - **يسألونك عن الروح** - تحقيق : محمد عبد العزيز الهلاوي ١٩٨٨ - مكتبة الفرقان - القاهرة .

• الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد - **المفردات في غريب القرآن** دون تاريخ - مكتبة نزار مصطفى الباز - القاهرة .

• رضا ، محمد رشيد - **تفسير القرآن الحكيم (المنار)** - ١٩٤٧ - ط ٢ دار المنار - القاهرة .

• الرماني ، الخطابي والجرجاني - **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** - تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دون تاريخ - ط ٣ - دار المعارف القاهرة .

• الزجاج ، أبو إسحق إبراهيم بن السري - **معاني القرآن وإعرابه** - تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي - ١٩٨٨ - عالم الكتب - بيروت .

• الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق - **حروف المعاني** - تحقيق : علي توفيق الحمد - ١٩٨٦ - مؤسسة الرسالة - ودار الأمل - إربد .

• الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله - **البرهان في علوم القرآن** – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ١٩٨٤ - ط ٣ - مكتبة دار التراث - القاهرة .

• زكريا ، عبد المرضي - **الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني** - ١٩٩٧ مكتبة زهراء الشرق - القاهرة .

• الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر - **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** - تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ١٩٩٨ - مكتبة العبيكان – الرياض .

• زمزمي ، يحيى بن محمد – **الحوار ، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة** ١٩٩٤ - دار التربية والتراث - مكة المكرمة - رمادي للنشر - الدمام .

• زيادة ، خليل عبد المجيد – **الحوار والمناظرة في القرآن الكريم** - ١٩٨٦ دار المنار - القاهرة .

• السامرائي ، إسماعيل علي محمد - **الحوار في القرآن الكريم** – ١٩٨٩ - جامعة بغداد كلية الشريعة - رسالة ماجستير.

• سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – **الكتاب** – تحقيق وشرح : عبد السلام هارون - ١٩٨٨ – ط ٣ – مكتبة الخانجي – القاهرة .

• السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال – **الإتقان في علوم القرآن** - تحقيق سعيد المندوب - ١٩٩٦ - دار الفكر - بيروت .

• السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال – **الإكليل في استنباط التنزيل** – تحقيق ومراجعة : أبو الفضل عبد الله محمد الصديق – ١٣٧٣ – دار الكتاب العربي – بيروت .

• السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال - **همع الهوامع في جمع الجوامع** - تحقيق : أحمد شمس الدين - ١٩٩٨ - دار الكتب العلمية - بيروت .

• أبو شادي ، مصطفى عبد السلام – **الحذف البلاغي في القرآن** – ١٩٩١ – مكتبة الفرقان للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة .

• شاهين ، سيف الدين - **أدب الحوار في الإسلام** - ١٩٩٢ - دار الأفق الرياض .

• الشثري ، سعد بن ناصر- **أدب الحوار** - ٢٠٠٦ - دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع - الرياض .

• الشعبي ، عبد المجيد موسى – الحوار ، **في القرآن الكريم موضوعه وفوائده** ٢٠٠٧- جامعة صنعاء - قسم الدراسات الإسلامية - أطروحة دكتوراه .

• الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار – **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن** - إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد – دون تاريخ – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – جدة .

• صافي ، محمود – **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه** – ١٩٩٥ – ط٣ دار الرشيد – دمشق – بيروت – مؤسسة الإيمان – بيروت .

• صالح ، مخيمر – **معجم المصطلحات البلاغية في القرآن** – ٢٠٠٤ – دار الكتاب الثقافي - إربد .

• الصويان ، أحمد بن عبد الرحمن – **الحوار ، أصوله المنهجية وآدابه السلوكية** ١٤١٣ هـ - دار الوطن – الرياض .

• ضمرة ، معن عثمان- **الحوار في القرآن الكريم** – ٢٠٠٥ - جامعة النجاح الوطنية كلية الشريعة - رسالة ماجستير .

• طنطاوي ، محمد سيد - **أدب الحوار في الإسلام** - ١٩٩٧ - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة .

• عبد التواب ، صلاح الدين - **الصورة الأدبية في القرآن الكـريم** - ١٩٩٥ - الشـركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة .

• عبد الرحمن ، عائشة – **الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابـن الأزرق ، دراسـة قرآنية لغوية وبيانية** – ١٩٧١ - دار المعارف – القاهرة .

• عبد الرحمن ، عائشة – **التفسير البياني للقرآن الكريم** – ١٩٧٧ – ط ٧ – دار المعـارف – القاهرة .

• العدوي ، أبو عبد الله مصطفى – **أدب التخاطب** – ١٩٩٩- دار الأندلس الخضراء – جدة .

• عصر ، صبحي عبد الرؤوف – **المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكـريم** ١٩٩٠ – دار النصر للطباعة الإسلامية – القاهرة .

• عضيمة ، محمد عبد الخالق - **دراسات لأسلوب القرآن** – دون تاريخ دار الحـديث - القاهرة .

• العلوي ، ابن طباطبا - **عيار الشعر**- شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر- ١٩٨٢ دار الكتب العلمية – بيروت .

• الغامدي ، صالح بن غرم الله – **المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف في ضوء مـا ورد في كتاب الانتصاف لابن منير** – ١٩٩٨ – دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل .

• فائز ، أحمـد - **اليوم الآخر في ظلال القرآن** - ١٩٩٤ - ط ١٧ - مؤسسـة الرسـالة - بيروت .

• ابن فارس ، أبو الحسين أحمد - **مقاييس اللغة** - تحقيق : عبد السلام هـارون ١٩٧٩ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة .

• الفراء ، أبو زكريا يحيي بن زياد – **معاني القرآن** – تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وآخرون - دون تاريخ – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة .

• فضل الله ، محمد حسين - **الحوار في القرآن ، قواعده أساليبه معطياته** ١٩٧٩ - الدار الإسلامية - بيروت .
• الفيفي ، موسى بن يحيى - **الحوار ، آدابه وأصوله وكيف نربي أبناءنا عليه** ٢٠٠٧ - دار الخضيري للنشر والتوزيع - المدينة المنورة .
• القاسمي ، محمد جمال الدين - **محاسن التأويل** - ١٩٥٧ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .
• القرطاجني ، أبو الحسن حازم - **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** - تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة - ١٩٨٦ - ط ٣ - دار الغرب الإسلامي - بيروت .
• القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر- **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان** - تحقيق : عبد الله بن الحسن التركي - ٢٠٠٦ مؤسسة الرسالة - بيروت .
• القضاة ، محمد عدنان علي - **مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية** ٢٠٠٣ - جامعة اليرموك - رسالة ماجستير .
• قطب ، سيد - **التصوير الفني في القرآن** - ٢٠٠٢ - ط ١٦ - دار الشروق القاهرة .
• قطب ، سيد - **في ظلال القرآن** - ١٩٧١- ط ٧ - دار إحياء التراث العربي بيروت .
• قطب ، سيد - **مشاهد القيامة في القرآن** - ٢٠٠٢ - ط ١٤ - دار الشروق القاهرة .
• ابن القيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر - **بدائع الفوائد** - تحقيق على بن محمد العمران -١٤٢٤ - دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - جدة .
• ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل - **قصص الأنبياء** - تحقيق : السيد الجميلي - ١٩٨٨ - دار الجيل - بيروت .
• ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل - **مختصر تفسير ابن كثير** - اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني - ١٩٧٩ - ط٣ - دار القرآن الكريم - بيروت .

• مجمع اللغة العربية – **معجم ألفاظ القرآن الكريم** – ١٩٨٨ - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة .

• المرادي ، ابن أم قاسم – **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان - ٢٠٠١ – دار الفكر العربي – القاهرة .

• المسدي ، عبد السلام – **الأسلوب والأسلوبية** – ١٩٨٢ – الدار العربية للكتاب طرابلس ليبيا .

• مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري النيسابوري – **صحيح مسلم** – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – ١٩١٨ – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .

• المعطي ، عبد العظيم إبراهيم محمد - **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ١٩٩٢ - مكتبة وهبة - القاهرة .

• ابن منظور، محمد بن مكرم - **لسان العرب** - ١٩٩٠ - دار صادر - بيروت.

• الموبل ، محمد كمال - **الحوار في القرآن الكريم** – ٢٠٠٠ - دار الفارابي للمعارف - بيروت .

• نزال ، فوز سهيل - **لغة الحوار في القرآن ، الكريم دراسة وظيفية أسلوبية** ٢٠٠٣ - دار الجوهرة - عمان .

• الهاشمي ، السيد احمد – **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** – ضبط وتحقيق : يوسف الصميلي – ١٩٩٩ – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

• ابن هشام الأنصاري ،عبد الله بن يوسف جمال الدين - **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** - تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - ٢٠٠٥ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

• ونسنج ، أ – ي - وآخرون - **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** – ١٩٣٦ مكتبة بريل – ليدن .

قائمة المحتويات





عمان – العبدلي – مركز جوهرة القدس التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ – خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٥٧٤٧٤٦٠ – ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٦٢٩٥٤٥٧
ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_jenan@yahoo.com